بحوث

فى الشعر الحديث بوادى النيل

مع

نشر ديوان الشاعر المصرى

حسن عبد الحليم اليمانى

الدكتور / محمد رشدى حسن

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

بحوث

في الشعر الحديث لوادي النيل

مع

نشر ديوان الشاعر المصري

حسن عبد الحليم اليماني

الدكتور / محمد رشدي حسن

١٤٠٣هـ ١٩٨٣

" بحوث في الشعر الحديث بوادي النيل "

مع

" نشر ديوان الشاعر المصري حسن عبد الحليم اليماني (لأول مرة)

الدكتور

محمد رشدي حسن علي

١٤٠٣هـ ــــــ ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الكتاب (بحوث فى الشعر الحديث بوادى النيل - مع نشر ديوان الشاعر حسن عبد الحليم اليمانى " لأول مرة ") يضم سبعة أبواب هى :-

الباب الأول :- عن فن المسرحية ومواقفها وشخصياتها وارتباط الأحداث بالمواقف وهذا الباب يمهد للبابين الثانى والثالث .

الباب الثانى :- تحليل مسرحية أحمد شوقى " مجنون ليلى "

الباب الثالث :- تحليل مسرحية مبارك المغربى " بلال بن رباح رجل من أهل الجنة "

الباب الرابع :- نشر ديوان الشاعر المصرى حسن عبد الحليم اليمانى الذى كان يعيش فى الثلاثينات - وقد آثرت أن أنقد ثلاث قصائد من قصائده المختارة لعل ديوانه هذا يجد صدى للمتصدين لشعر مصر فى هذه الفترة التى كانت تموج بالأحداث .

الباب الخامس :- وهو عن بواكير الشعر الحديث فى السودان أيام المهدية وما تلاها وقد تحدثت فى هذه الفترة

عن محمد عمر البنا والحسين الزهراء وأبي القاسم أحمد هاشم واسماعيل عبد القادر ومحمد بن الطاهر المجذوب وابراهيم شريف الدولابي ثم تحدثت عن عبد الرحمن شوقي وعن عبد الله عبد الرحمن وعن محمد سعيد العباسي.

الباب السادس :- وهو عن (أ): ديوان الشاعر السوداني عبد الله محمد عمر البنا في شعره الديني وأبياته الغزلية (ب): الشعر الديني عند مبارك المغربي — وهما يتمثلان في السودان الحديث مدرسة الشعر التقليدي السابقة.

وإني لا أريد بنقدي في هذا الكتاب - أن أهدم أشخاصاً أو أبدع مجداً لآخرين - وإنما كل همي أن أبرز صور الصدق الفني والأخلاقي في شعر من تحدثت عنهم من الشعراء حسب مدارسهم ولا أدعي أنني قد في هذا الميدان بل إني أكملت بعض الأسس التي أشادها أساتذة مفكرون ونُقّاد رائدون قبلي . كما نشرت الشعر المجهول والذي خطه الشاعر المصري حسن عبد الحليم اليماني وفي دراسات تالية إن شاء الله سأتصدى للشعراء الذين لم يسعفهم سِفْري هذا.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل

من الباقيات الصالحات كما أدعوه تعالى

أن يتقبله خالصا لوجهه الكريم ،

والله ولى التوفيق ،،،

المؤلف

د . محمد رشدى حسن

البـــــاب الأول

فن المسرحية

هذا الباب الأول عن فن المسرحية إما هو تمهيد لبابين تاليين أحدهما عن مسرحية "مجنون ليلى" لأحمد شوقي والآخر عن مسرحية "بلال بن رباح" لمبارك المعرّي

هذا وإن كانت المسرحية تعتمد على أركان القصة في بنيانها من موضوع وفكرة وهدف ومن شخوص وحوار ومن عقدة وحل إلا أنها تزيد على القصة في جعل الشخصيات والحوار بؤرة التركيز فيها وتزيد في ارتباطها بالنظارة حيث يملكون التأثير على موضوعها وشخوصها وزمانها ومكانها ، فالمسرحية تهتم بالنظارة اهتمام جذب من الأدنى الى الأعلى لا العكس وحتى يكون كاتب المسرحية ملتزما .

ومن المسلم به على كاتب المسحرية أن يملك باقتدار جذب النظارة بقدر الإمكان وأن يتمكن من سحر الجمهور حتى يستدرجهم الى أفكاره ومعانيه بيسر وسهولة كي يحصل الجمهور في النهاية على المتعــــة والفائدة معا ، ومن هنا فإن العمل المسرحي عمل شاق إذا قيس بفن القصـــة لأن القصاص بإمكانه أن يكتفي عن طريق السرد بإبراز فكرتـــه على حين أن المسرحي ليس أمامه إلا اللجوء إلى الحوار الذى يخلــق نموا حركيا ويدفع بالأحداث الى الأمام .

والمسرحية إما أن تكون شعرا وإما أن تكون نثرا والأولى تحتــاج إلى جمهور خاص غالبا ما تكون ثقافته عالية وهو الذى يتعايش مستمتعا معها مدركا أبعادها وحدودها . أما الثانية فلديها طاقة أن يشمــل إمتاعها كل الطبقات وجميع المستويات وشمول المتعة أيضا يوافقه شمــول الفائدة .

وإذا ما رجعنا بالنظر بعيدا إلى الوراء كي ننظر أمر هذا الفن في تراثنا العربي فإننا نستطيع أن نقول إنه قد وجدت محاولات أولية في أدبنا القديم عند الجاحظ وبديع الزمان (١) فقد روى الجاحظ في كتابه البخلاء حوارا بين بخيل ورجل وجدنا فيه دفعا بالأحداث إلى الأمام في نحو يذكرنا بالعمل المسرحي كما وجدناه يروي قصة لشخص كان يحتلي ظهرا عاليا ويقلد الوزراء والولاة بل والخلفاء وكان الجمهور الذي يشبه نظارة اليوم حوله يضحكون (٢) . أما بديع الزمان فقد أبدع مقاماتـــه وجعل لها بطلا اسمه أبو الفتح الاسكندري تشاركه عدة شخصيات منهـا ما هو محوري ومنها ما هو ثانوي وكانت تتحاور وأثناء الحوار تنمـــو الأحداث وتتدافع الى الأمام ولعل ذلك ملاحظ تماما في المقامتـــين المضيرية والموصليـــة . وغريب (٣) ما رأيناه في أمر حركة الترجمة العربيـــة التي لم يكن فيها مساس لحقل المسرحية . وإلا لكان لها شأوٌ فـــي تراثنـــا .

---

(١) هذا مخالف لما ذهب اليه بعض الباحثين كالدكتور محمود حامد شوكت حيث قطع بعدم وجود أدب مسرحي في الأدب العربـي . راجع كتابه المسرحية في شعر شوقي ص ١٦ .

(٢) كتاب البخلاء ص ٢٠-٢١-٢٢ ، حقق نصه وعلق عليه الدكتـــور طه الحاجري ، دار الكاتب المصري ، ١٩٤٨ .

(٣) اقرأ سبب اهمال العرب لترجمة المسرحية اليونانية ، كتـــاب ضحى الاسلام ، احمد امين ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ .

وفي القرن السابع الهجري كتب ابن دانيال " الأمير وصال وعجيب وغريب" لتمثل فيما يسمى " خيال الظل " - وإن هذا التراث العربي التمثيلي القديم وإن كان له تأثير فهو تأثير ضئيل على مسرحنا العربي المعاصر - وإن التأثير الأكبر للمسرحية الغربية - فمارون النقاش الذي أدخل المسرحية الحديثة إلى عالمنا العربي في القرن التاسع عشر (١٨١٧ - ١٨٥٥) حين كتب مسرحيته الأولى العربية " البخيل" كان متأثرا بالمسرحية الخالدة لموليير الكاتب الفرنسي وهي تحت عنوان (البخيل) أيضا .

ووجدنا بعد مارون النقاش كتّابا مسرحيين آخرين استعانوا في معظم ما كتبوا للمسرح العربي المعاصر بما تأثروا به من أدب مسرحي فرنسي - هؤلاء الكتاب المسرحيون هم سليم النقاش وأديب اسحق ويعقوب صنوع وقد قدموا مسرحيات على المسرح المصري ابتداء من سنة ١٨٧١ .

ولكن الأدب المسرحي العربي المعاصر ظهر مؤصلا على يد "أحمد شوقي" حين كتب أول مسرحية له وهي " مصرع كليوباترا " سنة ١٩٢٩ ثم كتب بعدها " قيس وليلى " وتتالت مسرحياته الأخرى وكذلك جاء بعده من شاركه هذا الجهد من أمثال عزيز أباظه ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم وغيرهم .

والمسرحية إما أن تكون مأساة أو ملهاة أو مزيجا منهما ، وخير أنواع المسرحية ما يجمع بين الملهاة والمأساة، وتقوم الملهاة على إشاعة جو من المرح والضحك بسبب ما في حوارها من مفارقات وبسبب ما في شخصياتها من قدرات خَلْقِيّة وخُلُقِيّة على بعث الإضحاك بيد أن المأساة تقودنا إلى جو من الواقع المحزن المثير للدموع والأسى وقد رآها بعض الباحثين تصويرا لواقع خطير ومتكامل (١). وقد يكون هناك واقع مرح ولكنه مثير للحزن وهذا هو النوع الثالث الذي امتزجت به الضحكات بالدموع .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نورد حديثا للكاتب برنارد شو يصور فيه مدى المعاناة في كتابة المسرحية حيث يقول لأحد المترجمين لمسرحياته : " بنيتها من ذرات العرق والتراب ذرة ذرة وأعددتها للمسرح ونقحتها كلمة كلمة للنشر " (٢). وهذه المعاناة التي صورها برنارد شو لم يقتصر وجودها على زمن دون زمن ، فالمعاناة قديمة، لأن المسرحية محاكاة للطبيعة تتم عن طريق أشخاص يفعلون (٣) كما قال أرسطو

---

(١) The Structure of Literature by Poul Goodman P. 27

(٢) فقرة من رسالة كتبها برنارد شو إلى المترجم والمسرحي الألماني سيغفريد تريبتس نشرها جامع رسائله البروفسور دان لورنس وقد قام بترجمة بعضها الى العربية الدكتور محمد ابراهيم الشوش في كتابه " أدب وأدباء " تحت عنوان : " مع جورج برنارد شو في رسائله المرحة".

(٣) نقل هذا المفهوم عن أرسطو الناقد الفرنسي لابي فنثت في كتابه " نظرية الأنواع الأدبية " ، قام بترجمته الدكتور حسن عون ، الاسكندرية ١٩٥٤ ، ص ٢٣، المجلد الأول .

فى كتابه الشعر . فالشخصيات تتحدث والحركة تتم والنقلة الزمانيـــة والمكانيـــة موجودة والحدث ينمو والتتبع لهذا المسار هو الذى يخلـق المعاناة لكاتب المسرحيـــة .

وفى سبيل فهم المسرحية نستطيع ان نقول ان كلمة مسرحية ترجمـة لكلمة دراما DRAMA ودراما باليونانية معناها الفعل أو الحـــدث فالشخصيات كما يتخيلها المؤلف تتأثر بالعالم الخارجى حولها وينتقــل رد الفعل المناسب إما اشمئزازا ورفضا وإما قبولا وايجابا .

والخلاف فى المسرحية واضح بين المسرحية الكلاسيكية (الاتباعيـــة) وبين المسرحية الرومانتيكية (الابتداعية) فى كون الكلاسيكية لا تمزج بـــين الملهاة والمأساة فالمسرحية إما مأساة أو ملهاة . وفى الكلاسيكيـــة قصٌ للأحداث رواية وحكايـــة معتمدة على وحدة الزمان والمكان . وفـــى الرومانتيكية قصٌ للأحداث عن طريق الحوار ولا تشترط وحدة زمانيـــة أو مكانيـــة ،كما أن المسرحية الرومانتيكية فيها اهتمام بالشعب لا فئـــة الأمراء والملوك والحكام كما تفعل الكلاسيكية بالإضافة الى أنه بامكانهـــا أن تمزج بين المأساة والملهاة .

وكانت لغة المسرحية فى الأدب القديم (يونانيا أو رومانيـــا أو لاتينيا) شعرا لكنها فى الأزمنة المتأخرة تراوحت بين الكتابة بالشعـــر تارة والنثر تارة أخرى . ومن سمات الشخصية المسرحية سواء أكانت هزلية

أم جادة أن يكون لها موقف يفسر العلاقات المرتبطة بينها وبين البيئة والزمان والمكان . وأن يكون هذا الموقف إيجابيا بمعنى أن يكون الصراع هادفا ، فعلى سبيل المثال يجب على الشخصية الواقعة تحت ضغط الإذلال أن ترفع عن نفسها نير هذا الإذلال وبعد أن يتم خروجها من سيطرته عليها أن تبني حياتها على أساس الحرية الجديدة ولكن أن تصبح الشخصية المستذلة خانعة وليس لها موقف فإنني أجد أن ذلك لا يتناسب مع فن البناء المسرحي إلا إذا كان هذا الخنوع للشخصية المسرحية مجرد مرقاة للوصول إلى هدف أسمى ولو بأسلوب "قليل من الشر قد يصل بنا إلى الخير" أو "قليل من الشك قد يصل بنا إلى الايمان اليقيني" أو "قليل من الذل قد يصل بنا إلى العز الكامل".

ونتساءل الآن عن المثال والواقع . هل هناك خلاف بينهما فأقول : إن الواقع إذا كان شرا فهو فردى يوصل فى النهاية إلى خير المثالية وهى صفة المجموع . فإذا وجدت هناك سلبية في شخصية ما من المسرحية فإنما لكي تخدم الإيجابية فى هذه الشخصية أو فى باقى الشخصيات . . فعلى المسرحي أن يتجنب الخلل فى البناء المسرحى حين يلتزم بإيجابية المجموع ومثالية الكل . فاذا وجد الظلام فليس هذا هو الهدف ، إنما الهدف هو تبيان قيمة النور . والمسرحي فى نهاية الأمر يريد ان يضع يده على الحقيقة ويريد أيضا أن يضع أيدينا على هذه

الحقيقة باعتبارنا قراء أو نظارة ولكن كيف يأخذ بأيدينا للوصول الى هذه الحقيقـــة ؟ .

يستطيع المسرحي أن يحقق هذا الهدف إذا تدنى وهبط الـــى مستوانا ثم مكننا من الارتقاء معه مرة أخرى إلى عالمه الذى هو عالمنا أيضا ولكننا لم نستطع الوصول اليه بأنفسنا بل لابد من وجود هـــذا الأديب لكى يحقق لنا هذا الهدف . والشخصية فى الملهاة بالرغـم من أن لها موقفا فإننا نلاحظ أن هناك صراعا بينها وبين الواقـــع الاجتماعى المنضبط بسلوك معين . وهذا الصراع بما فيه من مفارقات يعطى طابع الانشراح والسرور فكأن الواقع والعرف بما فيهما من مفارقات يتحكمان فيها ، بيد أن المأساة يتحكم فيها الاطراد القانونى للأسباب والمسببات فلا مفارقات فيها كالتى فى الملهاة ، ومن هنا فان الشخصية فى المأساة شخصية محكومة بينما نجد الشخصية فى الملهاة شخصيـــة غير ملتزمة ولها الحق فى الانطلاق . كما أنها تكاد تكون شخصية نمطية لها نظائر فى المجتمع كالبخيل مثلا أو الأبلـــه (١) .

وإذا أردنا أن نتحدث عن الموقف فى المسرحية فاننا نقول مـــع بعض الباحثين (٢) إنه عبارة عن العلاقة بين الكائن الحى وبين البيئـــة مع ارتباط بالزمان والمكان ولابد ان يكون هناك فى الموقف دفع الـــى

---

(١) دراسات فى أدب المسرح : د . محمد زكى العشماوى ، ص ٣١ .
(٢) الموقف الأدبى : د . غنيمى هلال ، ص ١١٩ .

الأمام أو تعلق بالايجابيـة . وعلى الكاتب المسرحى ان يوضح العلاقة بين شخصياته وبين البيئة بمفهومه الخاص الذى قد تبرز فيه الإيجابية بمعناها المتكامل حيث لا تتطابق المثالية مع ما هو كائن فعلا فـــى الشخصية الفردية . وكى يوفق الكاتب المسرحى بين واقع الحياة وما كتب فعليه أن يتخذ جانب الانسان بكليته ، وإذا طرأ طارئ من شر فهـــذا عارض ولا يعنى هذا أن المسرحى عليه أن يكون كاتب مقال يعالـــج وباء ينخر فى عظام الأمة وإنما المقصود أن يراد للشخصية المسرحيـــة أن تكون منفعلة بالموقف الذى خلقته الحركة الجماعية حتى لا تكـــون نشازا . ومن واجب المسرحى أن يجعل تصرفات شخصيته مواكبةً فـــى النهاية للموقف بشموله ولن يتأتى له ذلك إلا إذا أحكم رباط جميـــع شخصياته مقدرا لمواقفها كأنه يتقمص أدوارها وهكذا يكون الكاتــــب المسرحى فى جانب من جوانبه فهو مجهر يكبر لنا ما تحت أعينـنـــا لا يخفى شيئا حيث يرينا بوضوح المحاسن والعيوب ولا مانع من أن يكون طبيب تجميل لا يغير من الخلقة تماما بل يطيب الملامح كى تبدو جميلة وهنا يلعب خيال المسرحى دورا بارزا فى تحديد مواقف شخصياتـــه التى يجسد الحوار (١) أبعادها الثلاثة : البعد الجِّسْمى والبعـــد الاجتماعى والبعد النفسى (٢) .

---

(١) فن المسرحية : على احمد باكثير ، ص ٦٩ .
(٢) راجع أثر المقامة فى نشأة القصة المصرية الحديثة للمؤلف ، ص ٧٣

ويتسم الكاتب المسرحي باجادته الوصول إلى المفارقات حيث يكون حديدى النظر واسع الأفق شديد الملاحظة أى ممتلكا كما يقول توفيق الحكيم للحاسة المسرحية (١).
والكاتب المسرحي يعالج أنواعا متعددة من المسرحيات فهناك المسرحية العقدية وهناك المسرحية الاجتماعية وهناك المسرحية التاريخية وهي التي تتناول شخصيات حقيقية تكون محورا لأحداث هائلة حدثت في عصره والمسرحيات في هذا الاطار كثيرة سواء أكانت فى العالم الغربى أم عالمنا العربى

وغالبا ما تكون المسرحية التاريخية أو المسرحية العقدية منظومة تحت لواء المأساة ، أما المسرحية الاجتماعية ففيها مرونة وفيها سعة ومن الممكن ان تكون منظومة تحت لواء المأساة مرة وتحت لواء الملهاة مرات .

أما الوحدات الثلاث : الموضوع والزمان والمكان فقد جعلها أرسطو ملازمة للمسرحية فى كتاب فن الشعر(٢) ولكن اشليجل فهم أن أرسطو لم يجعل وحدتى الزمان والمكان قاعدتين وإنما أراد أن يبين ما كان واقعا فعلا فى المسرح اليونانى في عصره وشاركته في الرأي أديبة انجليزية حين قالت : " وحدتا الزمان والمكان لا تزيدان عن كونهما تقاليد شكلية أملتهما إلى حد ما حاجيات المسرح الحقيقية ، إلا أنه من الممكن

---

(١) فن الأدب : توفيق الحكيم ، ص ١٧٤ .
(٢) ارسطوطاليس : فن الشعر ، ترجمه عن اليونانية ، شرحه وحقق نصوصه د . عبد الرحمن بدوى ، ص ٢٧ .

الخروج عليهما فى أحوال كثيرة دون ان تلك بنا كوارث " (١) .

والحقيقة - فعلا - تتضح لنا حين ننظر الى المسرحية التى وإن تقيدت بوحدة الموضوع فاننا فى مسرحنا العصرى لا نكتفى بالأحداث التى تحدث فى حجرة واحدة فى زمن معين بل من الممكن أن تتغير المشاهد وأن تجرى عقارب الساعة فتتعدد الأمكنة وتختلف الأزمنة . والعقدة ليس من اللازم فيها أن تبدو تالية للمقدمات بل من الممكن أن تبدو مظاهرها فى المقدمة . وإنى لا أميل أن تكون المسرحية مجرد عارضة للمواقف فهذا يبدو عند الخطيب يعلو المنصة مستطيعا من خلال اشاراته ونبرات كلامه أن يوضح الأخلاق التى انهارت فى المجتمع أو أن يشير الى الأفكار السطحية التى سيطرت على أذهان شبابنا الحائر وما إلى ذلك .

لا بد للمسرحية إذا ان يكون لها عقدة إذ هى مفتاح جمال القصة (٢) ، ومن الممكن للمسرحى ان يجعل النظارة يشتركون فى ايجاد حل للعقدة بمعاونة الأضواء والموسيقى واختلاف نبرات الحوار وتنوع الاشارات حتى تخرج النظارة وقد فهمت كل شئ دون ان يصرح لها بالحل .

---

(١) تشريح المسرحية : تأليف مارجورى بولتون . ترجمة درينى خشبة ، ص ٣٦ .

(٢) أثر المقامة فى نشأة القصة المصرية الحديثة ، للمؤلف ، ص ١٩٠ .

والفرق بين القصة والمسرحية يتجلّى في أن الأولى تعتمد على السرد والتعليل والوقفات الطويلة بينما تَتَقَمَّصُ المسرحية كل هذا الطول ويختار الكاتب المسرحي الأحداث المؤثرة القوية ويجسمها في الحوار الدائر بين الشخصيات بشكل عاطفي تلقائي حتى يكون جمهور النظارة حاضرا طيلة أحداث المسرحية ، ومن ثم فلابد ان يتأنّى المسرحي في اختيار المواقف التي تشد الجمهور وإلا فإن المتفرجين سوف يصيبهم ملل كبير وعلى الكاتب المسرحي أن يذيب فرديته داخل الموضوع، وإن الموقف الذي تمثله الشخصية هو الذي يحدد السمات ومن ثم فان المسرحي ينطلق من ذاته ليعبر عن خارج ذاته وحين يذوب الذاتي في العام يكون البناء المسرحي قويا لا ضعف فيه .

والمسرحية بوجه عام تنضبط أحداثها وتتحدد مواقف شخصياتها بينما نجد القصة قد يهيم مؤلفها في عالم الخيال فلا يكون هناك انضباط لأن المواقف عند شخصياته قد تكون مواقف عامة ليست محصورة في نطاق معين أو زمان معين . ومن هنا تأتي أهمية الشخصية في المسرحية حتى تعلو على أهمية الموقف وإن المسرحي حين يجعل شخصية مسرحية له تتكلم فإن هذه النزعة الموجودة عند هذه الشخصية في حوارها إنما هي نزعته التي يتميز بها ولا يشترط لنجاح المسرحية أن يكون المؤلف مثلا فقد كتب برناردشو مسرحيات عظيمة ولكنه لم يكن ممثلا وكذلك توفيق الحكيم

ونجيب محفوظ في أدبنا المسرحي المعاصر .

وإن ارتكاب البطل للخطأ في المسرحية عند أرسطو عمليـة (١) عفوية تأتي بدون ارادة وبدون قصد ، ولكن الأدباء الاتباعيين يجعلـون شخصياتهم في كامل وعيها ومن ثم فانهم مسئولون عن تصرفاتها . وهكذا تكون الشخصيـة تامة النضج وهذا يحتاج الى تنبه كامل من المؤلـف المسرحي حتى لا يعتمد على القدر في انفراج الأزمة . إذ يمثل الاعتماد على القدر في حل الأزمة ضعفا في البناء التمثيلي . وعلى الكاتـب المسرحي أيا كان مذهبه أن يتجنب كل الصدف وعليه أن يتتبع التصرفات ويأتي بالتركيب المنطقي للنتائج المحققة حسب التسلسل الفكري فمثـلا إذا كان هناك موقف من مواقف الظلم في مسرحية ما وأراد الذي يمثل شخصية الظالم أن يبطش بأحد الضعفاء الذي جزم بـ ورة مثل اخـر فالكاتب الذي يعتمد على المفاجأة والقدر يقتل الظالم في حادث سيارة او اشتعال حريق أو انهيار منزل او طلقة طائشـة أو ما شابه ذلك . ولكن الكاتب المبدع حقا يسير مع المنطق فيعطي للظلم جولته ويجعلـه كما هو في الواقع يسيطر على بعض القطاعات والتصرفات وبطريقة انسانيـة بحته يجعله يصطدم مع شخصية اخرى أقوى منه فلا يكاد يواجهها حتى ينهار ويعرف أن الظلم الذي وجهه للغير كان وبالا عليه في النهايـة

---

(١) النقد الأدبي الحديث : د . محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

فيفكر بعد ذلك في الاقلاع عنه ويظل الكاتب المسرحي ينمي فكـــرة الاقلاع عن الظلم عن طريق شخصية خيرة تذكر هذا المقلع بانسانيته أو بالجانب الحسن فيه من خلال مواقف هذه الشخصية الانسانية .

هذا الترتيب المنطقي هو ما نريد للكاتب المسرحي أن يهتم بـه فيما يكتب حتى لا يعوج خط البناء بين يديه ويشعر النظارة بأن هذا الكاتب الذى كتب لهم المسرحية التى يتفرجون عليها قد احترم ذكاءهم واحترم عقلياتهم وقدراتهم .

وأحب أن أبين هنا مدى أهمية الشخصية عند الكاتب فالشخصيـــة هى المحور ولأنها كذلك فلابد أن يكون الحوار الصادر عنها هـــو النمـى للحدث فالحركة والحدث لا يتمان إلا بالشخصية ومن ثم فعلـــى الكاتب أن يسيطر عليها تماما بأبعادها الجسمية والاجتماعية والنفسية .

والبعد النفسي له أهمية بالغة في المسرحية التى تأخذ دورهـــا فى مجتمعنا المعاصر ،فإن الصراع الجسمى الآن يجب ان يذبل وينقرض لأنه لا مكان الآن الا للصراع النفسي والصراع النفسي دائرته أشمـــل وإحاطته أكمل إذ من الممكن أن يكون هناك صراع نفسي داخل الشخصية الواحدة كأن يكون هناك صراع بين الواجب والعاطفة ويظهر هذا الصراع على أشده حين تقع الشخصية في حيرة بسبب التفضيل بينهما ـ ولا يقتصر الصراع النفسي على الشخصية الواحدة فقد يوجد بين شخصيتين أو عدة

أشخاص كالوطني الذي يتعرض لإغراء ببيع وطنه ولكنه يدرك أن وطنه أغلى عنده من حياته ، في هذه الصورة لا يدوم الصراع النفسي طويلا فهو ينهيه عن طريق الإبلاغ عن الخونة بائعي أوطانهم لكن هذا الصراع في إطار شخصية أخرى يهمها المال تقع في المحظور فيقبض عليها . وهكذا فإن المسرحي الناجح يهتم بالصراع النفسي أكثر من اهتمامه بالصراع الحسي . وكما يهتم الكاتب المسرحي بالشخصية لأن الحدث يصدر عنها من خلال الحوار فعليه أن يجعل هذا الحدث منسقا للموقف ويجعل الموقف منسقا للحدث . والحدث هو الحركة أو الفعل بينما الموقف هو العلاقة التي تربط بين الشخصية وبين البيئة في زمان ومكان معينين أو مطلقين ، فكأن الحدث أشمل من الموقف إذ أن الحدث عبارة عن تيار متماوج والموقف تموّجة في هذا التيار وما يفعله المسرحي في هذه التركيبات ليس بالهين عليه لكن الموهبة والمران كفيلان بتذليل العقبات أمامه .

وأنا لا أميل الى الرأى الذى يقول إن المأساة تهتم بالرجال أكثر مما تهتم بالنساء لأن المأساة فيها صلابة تتناسب والرجال . والواقع أن الصلابة والصرامة موجودتان في مآس كثيرة تلعب المرأة فيها أدوارا مهمة كما في عطيل وهاملت ومأساة الملك لير لشكسبير ، وكما في

بيجماليون . فليس بشرط إذا أن نرى المأساة وقد خلت من عنصر النساء. فالمرأة والرجل يتقاسمان العمل في المسرحية أيا كانت كما يتقاسمان الحياة .

واللغة التي يستعين بها كاتبنا المسرحي في مسرحيته يجب ان تكون لغة سهلة ولا يجب أن تصل بها السهولة الى استخدام العامية بل المقصود الفصحى السهلة الميسرة ذلك لأن استعمال الفصحى كفيل بنقل المسرحية إلى قنوات اخرى في العالم العربي فلا تكون المسرحية خاصة ببيئة عربية دون بيئة أخرى . هذه اللغة من السهل حين استخدامها أن تترجم من خلالها المسرحية إلى لغات أجنبية أخرى . وأنا أعجب أشد العجب ممن يتصور ان الفصحى عقبة كؤود في سبيل الواقعية ، فالفصحى طريق لكل الاتجاهات والمذاهب وأيا كانت الفكرة سهلة أو صعبة فلا سبيل للتعبير عنها الا من خلال الفصحى ، فالفصحى تعطي المسرحية بعدا حضاريا يجعلها تنطلق من حدود الاقليمية الى حدود العالمية . وإن اللهجة العامية لأى بلد عربي لهجة محدودة الأثر ومهما بلغت من الرقة فيكفي أنها تدل على افلاس الكاتب المسرحي لغويا وما دام قد أفلس لغويا فقد أفلس فكريا إذ أن اللغة هي الفكر ولا فائدة للفكر المختزن إن لم يستخرج عن طريق اللغة الفصحى وانظر مثلا للعراقي متحدثا بلغته العامية قائلا : " عبالك توبة وتكميز عالكاع "

هل من الممكن ان يفهم المصرى من قوله العامىّ شيئا أو السودانـــى المغربى . وانظر الى السودانى حين يقول : " أكاحر وفودتـــــك تدمشنه يفهم العراقى من قوله شيئا . وانظر الى الجزائـــرى الذى يقول : " جَعْ روحِكْ اى اجلس واغلقْ هل يفهم منها العربـــى من قطر آخر شيئا ؟ فاستخدام العامية لا شك فيه قصور اذا استخـدم وسيلة للغة المسرحية . " أيها المسرحى العربى اذا أردت ان تكتـب مسرحية على أى مذهب من المذاهب أردت فاكتبها بالفصحى فانك بذلك تدخل السرور على مجتمعك وتطهره وتثير فيه الرحمة والخوف وأقصـــد بالمجتمع المجتمع الكبير الذى يفهم الفصحى عنك أيا كان موضعه" (١).

هذا حديث عن المسرحية تناولنا فيها الأسس العامة لها من حديث عن العقدة فيها والتفريق بين أنواعها ودور الشخصية والموقف والصـــراع النفسى وأخيرا لغتها . وفى حديثى وعرضى للملامح الأساسية لم أخرج عن كوني باحثا أترجم عن مشاعرى إزاء موقف الاعجاب او الاشمئزاز من عمل فنى معين . وأرجو ان أكون قد وقفت فى اعطاء صورة عن المسرحيـة فيها ملامح من تذوقى الخاص لهذا الفن الكبير .

---

(١) اقرأ ذلك باب الفصحى والعامية من كتاب (فن المسرحيـــة) للاستاذ على احمد باكثـــير .

الباب الثانى
مجنون ليلى لاحمد شوقى

وجدنا المؤلف يمهد للأحداث فنرى منظرا فى بادية بنى عامر يجتمع فيه ليلى والأصحاب وضيف من المدينة المنورة هو ابن ذريح الشاعر ونجد ليلى تقدم ابن ذريح الشاعر إلى الفتية والفتيات على النمط الحديث كما يفعلون في اوربا وفى زماننا الحديث حين يتأبط المضيف ذراع ضيفه ويقدمه الى المدعوين جميعا وهذا شيء لم تألفه البادية كذلك وجدنا ابن ذريح فى هذا الفصل يتقدم إلى ليلى كرسول قيس فيتحدث عن مزاياه وعن أخلاقه العالية وعن هيئته المحببة وعن تعلقه الشديد بليلى ولكن ليلى فى هذا الفصل الأول نجدها تتأنى بسبب ما تحدث به قيس عن ليلة الغَيْل حين كانا يسمران مع رفاقهما فتجاوز قيس حدود الحديث فى شعره عن هذه الليلة فأُحْرجت ليلى أيما احراج وأحرج أبوها كذلك وهذا ما دعا ليلى الى اعتذارها عن قبول وساطة ابن ذريح وفى نفس هذا الفصل الأول نجد قيسا يظهر ومعه راوية شعره زياد ويتقابلان مع منازل وتحدث مشاجرة بين زياد ومنازل فينسحبان ويخلو الجو لليلى وقيس فيتناجيان وتقول له ليلى شارحة حبها بعد سؤاله لها :- أتجدين ؟

ما فؤادى حديد ولا حجر
لك قلب فسله يا قيس ينبئك بالخبر
قد تحملت فى الهوى فوق مايحمل البشر

فتاة تيمٌ في حبه وهواه حتى تمكنت النار من كمه وكادت أن تلتهم ذراعه فاستغاثت ليلى بأبيها الذى جاء وفوجئ بوجود النار تكاد تلتهم يده ولكنه لا يعطف عليه فيستطرد، قائلا :

امض قيس امض جئت تطلب نارا
أم ترى جئت تشعل البيت نارا

الفصل الثاني : في هذا الفصل الثاني تجد حوارا بين شخصيتين رئيسيتين : هما شخصية قيس وشخصية ابن عوف أمير الصدقات والذى كان من رواة شعر قيس من قبل وقد اختبر ابن عوف حب قيس لليلى وذلك بأن رضى ان يكون رسوله الي الخليفة في دمشق ليمنع سفك دمه الذى أهدر فما كان من قيس إلا أن أجاب في أنفة وكبرياء :

بل عند ليلى قاض فاشفع لى لدى
ليلى وناشد قلبها أشواقى
جئها فذكرها العهود وحفظها
واذكر لها عهدى وصف ميثاقى
ليلى إذا هى أقبلت حقنت دمى
كرما وفكت يا أمير وثاقى

فما كان من الأمير إلا أن قبل الوساطة وطلب من قيس أن يرسل راويته زيادا إلى مخيمه في البادية ليحضر له ثيابا جديدة ليكون في ركب ابن عوف خاطبا ليلى .

وقد أظهر شوقى فى أول هذا الفصل مدى ما كان عليه قيس من سقام وهزال ونحول بسبب العشق لدرجة أن أمه أرسلت اليه جاريته المسماة ببلها، ومعها شاة مشوية قد أخذ منها القلب كدواء لقيس حتى يقلع عن عشقه لليلى فما كان من قيس إلا أن قال :

وشاة بلا قلب يداووننى بها
وهل يداوى القلب من لا له قلب

وقد بلغ المؤلف الذروة فى تصوير مدى حب قيس لليلى حين أرادوا ان يداووا قيسا من العشق عن طريق دعائه فى الطواف حول الكعبة بأن يبرئه الله من عشق ليلى فما كان منه إلا أن قال :

فهات الضر إن كان   هوى ليلى هو الضرا
وإن كان هو السحر   فلا تبطل لها سحرا
ويارب هب السلوى   لغيرى وهب الصبرا
وهب لى موتة الضنَى   بها لا ميتة أخرى

<u>الفصل الثالث</u> : وفيه يتأزم الموقف ونجد منازلا غريم قيس فى حب ليلى يخطب فى قومه مستدرجا لهم حتى يقفوا فى صفه فهو يذكرهم أولا بمآثر قيس حتى إذا صاغ ذمًّا له بعد ذلك ظنوا انه ايضا منصف لقيس . قال منازل :-

إن قيسا معشر الحى أخ ، وابن عم أفنه تبرأون

ثم يقول :

إن قيسا شاعرالبيد الذى لا يجارى أفأنتم منكـــرون

ثم يقول :

إن قيسا سيد من عامـر وابن سادات أفيه تمـــترون

ثم يقول :

إن قيسا قد بنى المجد لكم ولنجد أبقيس تكفـــرون

ويجيبه القوم على كل بيت يقوله معتزين بقيس مثله وبعد ان نجح منازل فى ذلك وجدناه ينصب على قيس انصباب الحمم فى قوله :

شعر قيس عبقرى خالــد ليته لم يتخلله الجنــون
ولو ان المتجنى شاعــر غير قيس أوشك الخطب يهون
رب شعر قاله فى ليلى بـه هتف البدو وضج الحاضرون
إننى اخشى عليكم عـاره رب عار ليس تمحوه السنون
ضجرت ليلى وضجت امهـا وأبوها وتأذى الأقربـــون
وغدا كل فتى من عامـر حين يلقى الناس محنيّ الجبين

ويستمر منازل فى صب حقده على قيس فى آذان القوم ويستثير فيهم نخوة الدفاع عن العرض والشرف مصورا لهم أن قيسا مرغ عرضهم فى التراب حين شبب بليلى — يقول منازل :

آن يا قوم لكم أن تعلموا أن قيسا هتك الخدر المصون
قيس لم يترك لليلى حرمـة ما الذى أنتم بقيس فاعلـون

تتجاوب بنو عامر مع منازل وتشاركه الرأى فى رفض قيس الا أن احـد

شوقى يجعل مدافعا يخرج من بين الصفوف يدافع عن قيس بقولـــه مخاطبا لمنازل :

منازِ يابْن العم ما هذا الخبر   رفعْت قيسا فجعلته القمـــر
والآن اغريت بقتله الزمـــــــر   كفعل جزار اليهود بالبقــر

برّاها من العيـــوب وعقـــر

ثم وجدنا مدافعا آخر عن قيس هو بِشْر الذى يقـــول :

اخطيب انت أم خَطْب وإن   لم تهُن والخطب أحيانا يهون

ويواصل بشر حديثه مدافعا عن قيس ومعاودا الهجوم على منازل :

إنما أنت لقيس حاســـــد   منطوى الصدر على الحقد المهين
كلما حدّثْتَ عنه عاســـرا   قرأتْ فى وجهك الداء الدفـين
ترسل الزفرة تتلو أختهـــا   وتفُشُّ الصدر من حين لحـين
يا مناز يابن عمى اصْغِ لـــى   أنت دونٌ انتَ دونٌ أنت دون

وتتكشف رِشوةُ منازل فيخذله بنو عامر ولا يملكونه فرصة خطبة ليلـــى وكذلك لا يملكون قيسا الذى تشفع بابن عوف فى خطبة ليلى - ولكـن ليلى تختار خاطبا آخر هو ورد الثقفى وتُشَفِّعُ ابنَ عوف أيضا فـــى الوقوف معها ولكن ابن عوف يجيبها بقوله :

سألْتِ محالا إنما جئتُ خاطبا   لورد القوافى لا لورد ثقيـــف

وقد أجاد أحمد شوقى أيما إجادة فى أول هذا الفصل الثالـــث حين جعل قيسا لا يبصر إلاّ ليلى :

لقد ألقى هوى ليلى حجابا على عينى فلست أرى سواهـا

وفى آخر هذا الفصل الثالث نجد أحمد شوقى يجيد الحديث على لسان ليلى معبرة عن ندمها ازاء قبولها خطبة ورد ورفضها لقيس تقول :

فزعت قيسا نالنى بمساءة وربى حجابى أو أزال صيانى

والنفر تعلم ان قيسا قد بنى مجدى وقيس للمكارم بان

لولا قصائده التى نوهن بى فى البيد ما علم الزمان مكانى

وهكذا تتوهج نار الأزمة فيأسف النظارة كل الاسف حين يرون أن هذا الحب الرائع لا ينتهى النهاية المرجوة وهذا راجع الى مقدرة شاعرنا أحمد شوقى فى شد انتباه النظارة حين نجد عملية التشويق تتعالى بسبب هذا التعقيد الذى أخذ مبرراته من وضع ليلى لكرامتها فوق حبها ووضع قيس لحبه فوق كرامته .

وفى الفصل الرابع نجده يتكون من منظرين المنظر الأول يهيم قيس على وجهه بعد أن صدم تماما فى حبه فيلتقى قرب ديار ثقيف حيث كان يبحث عن ليلى بالجنّى الذى كان يملى عليه الشعر الذى يقوله — وهذا الجنّى يسمى الأموىّ يزهو على قيس وذلك حين أنكر عليه قيس الهامه له وأن الشعر الذى يصوغه انما هو من مشاعره هو — فيتحداه الأموى أن يؤلف شيئا من مشاعره — ولكن قيسا لا يستطيع

ومن ثم فإننا نجد أحمد شوقي كاد يؤمن بأن الشعر الهام من عالم آخر وهذا ما نأخذه على شوقي في هذا المنظر الأول إذ كيف يصدق هو ذلك ولا نشك في شاعريته ثم كيف يجعلنا نرتاب في شعر الآخرين وخاصة شعر مجنون ليلي؟ . ولكن لا نستطيع ان ننكر اعجابنا بهذا المنظر الذى يجيد شوقي فيه تصوير عالم خفي علينا هذا التصوير المقرب البارز الذى يكاد من بروزه ان يقتحم علينا عالم الواقع المرئي الظاهر ــ نعم نجد في هذا المنظر الجن وهم يغنون وينشدون :

نحن الرعود القاصفه   نحن الرياح العاصفه
والظلمات الزاحفه   عرمر ما عَرَمْرَما

ووجدنا في هذا المنظر الأموى ممل الشعر على قيس يتمادى في اظهار سلطانه حتى على ليلى فيقول :

وإني لأكفل ليلى له   وأصرفها عن هوى غيره

ونجد أحمد شوقي المؤلف يأخذ مما قرأه في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني عن قيس وشعره قوله على لسان الأموى :

وأجهشْت للتوباد حين رأيته   وكبر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما عرفْتُه   ونادى بأعلى صوته فدعاني

فيندهش قيس حين يسمع هذا الشعر له والذى لم يذعه بعد كيف

يرويـــه الأموى يقول قيس :

الشعر لـــى مذ قلتـــه من شفتى لم يسمـــع
من ذا الذى أوحى بـــه لذا الغلام المدعــــى

ويستطرد قيس قائلا للأموى الجنى :

فَمَنْ أنت ومن ايـــن أَتَتْ أُذْنَيْكَ أَلْحاشِـــى

فيجيبه الأموى بجرود :

أنا الملقى عليك الشعـــر من آن الـــى آن

ثم نجد فى المنظر الثانى من هذا الفصل الرابع قيسا وقد وصـل إلى مضارب بنى ثقيف بالطائف حيث ليلى التى تزوجت وردا الثقفى ولتمكن العشق من قلب قيس نجده بإحساسه يستدل على مكان ليلى فيقول :

إن قلبـــى لمخبـــرى أن هاتيـــك دارهـــا

وأحمد شوقى فى هذا يذكرنا بقولة عمر بن ابى ربيعة معاصر قيـس حين يقول :

فدل عليها القلب ريَّاً عرفتهـــا
لها وهوى النفس الذى كاد يظهـــر

ويلتقى قيس بورد زوج ليلى فيفاجئـــه قيس بسؤالـــه :

بربك هل ضممت إليك ليلـــى
قبيْل الصبح أو قبّلت فاهـــا

وهل رَفّت عليك قرون ليلـــــى
رفيفَ الأقحوانة فى نداهـــــا

ولكن وردا يطمئنه بعد ان حيره قليلا فيقول :

مُذْ حَوَتْ دارِى ليــــــ ∴ ــلى ما خلوْت من نـــدم
كانت اطافتى بهــــــا ∴ كالوثنى بالصنــــــــم
وربما جئت فراشهـــــا ∴ فخانتنى القــــــــدم
شِعرُك يا قيس جـــــنى ∴ علــىّ هذا واجْـــترم
هَيّبهـــا فامتنعــــت ∴ كأنها صيد الحـــــرَم

ثم ينشد ورد بيته الذى نعتبره فذا فى بابه إذ بلغ من القـــوة والإبلاغ والفصاحة ما ليس لغيره من أبيات قالها - يقول ورد :

وَهَبْتُها للحب والشعـــ ∴ ــر وقيـــس والألــــم

ويردف ورد بيته السابق بثلاثة أبيات اخرى تعادل البيت السابـــق قوة وسحرا وبيانا :

فشعرك يا قيس أصل البلاء   لقيت بها وبليلى الضــلالا
كساها جمالا فعلقتهــــا   فلما التقينا كساها جــلالا
إذا جئتها لأنال الحقوق   نهتنى قداستها أن أنــالا

ثم تخرج ليلى وتلتقى بقيس مع زوجها ونجد وردا ينسحب وهو يقول :

قيس أرى الموقف لا يجمعنا   أنت حبيب القلب والزوْجُ أنا
يا لكما منى ويالى منكمـــا   نحن الثلاثة ارتطمنا بالقضـــا

ويتناجى قيس وليلى ما شاءت لهما المناجاة فى ظلال العفة وتقدير المروءة – تقول ليلى :

نحن الحرائر إن مال الزمان بنا لم نشْكُ إلا إلى الرحمن بلوانا

ولكن هذه المناجاة تتحول إلى صراع بين شك من قيس فى أنها تحب زوجها وبين دفاع من ليلى عن زوجها الذى حفظ سرها وعن نفسها التى قتلها العشق وينتهى الأمر بفرار قيس حيث يقول :

أُتركينى بلاد الله واسعة غدا أبدل أُحبابا وأوطانا

أحقا يستطيع قيس أن يجد بديلة لليلى – كلا – وإلا لما قال لها :

فكل بلاد قربت منك منزلى وكل مكان أنت فيه مكانى

وتزداد تعاسة ليلى بعد خروج قيس وتبكى منشدة :

أنا عذرية الهوى أحمل العبء وإن ناء بالصبابة جهدى

وتقول :

لم تُعَذَّب بالحب عذراءُ قَبْلِى كعذابى ولن تعذب بعدى

وينتهى هذا المنظر ويعلمنا فيه شوقى بأن ليلى قد ناء بها العشق وافترسها داء الكمد والحزن وداخلها مرض السهاد والتفكير المعن فيمن تحب .

أما الفصل الخامس والأخير وهو مكون منظر واحد ونجد فيه أبا ليلى المهدى يتقبل العزاء فى بنته ليلى بينما زوجها لا يقبل

أحد على تعزيته ويواصل أحمد شوقي في تمثيل النبل كله في ورد فحين يحاول أحدهم أن يلفت نظره الى هذا الإعراض من الناس الذين لا يعزونه في زوجه ليلى يقول له :

يرون أنى عدو قيس أخذت ليلى منه اغتصابا
وزدت نفسيهما شقاء وزدت قلبيهما عذابا
ليسألِ النَّاسُ قبر ليلى فإن في قبرها الجوابا

ونجد أن والد ليلى يقدر في ورد هذا النبل ومن ثم أجرى أحمد شوقي على لسانه :

لقد صنتها يا ورد فاذهب فما أنا
بناس لك المعروف أو جاحد اليد
وليلى فتاة حرة بنت حرة
أحبت غلاما سيدا وابن سيد

ثم نجد الغريض الشاعر يتجول جهة المقابر ويرى قبرا جديدا ولكنه لم يعرف أنه قبر ليلى — وهذا الذى رأيناه من غناء للغريض لم يكن له(١) داع لأنه لم يخدم المسرحية بل هو لمجرد أن نسمع صوت النعي وهو الغريض يُمَهِّد لجو الموت الكئيب بهذه الألحان

---

(١) وان كان أستاذنا الدكتور شوقي ضيف في كتابه شوقي شاعر العصر الحديث قد قال في ص ٢٥٨ " وقد خفيت في مسرحية قيس وليلى نزعة التطويل ".

الجنائزية كمثل قوله :

وادِيَ الموتِ سـلام   وسقى القـاع الغمـامْ
السماءُ القدسِ حرابـك   والأرض الحـرام
أنت في الصمت مُبِين   ومن الصمت كـلام
لم يمُتْ أهلك لكـن   غَشِي الليلُ فنامـوا
غُيّبٌ لم ندر مـا   صاروا ولا أين اقامـوا

ثم يختفى الغريض ويظهر قيس وزياد وينشد قيس لجبل التوباد الـذى كان يلتقى عنده بليلى وأغنية قيس مشهورة قد لحنها محمد عبد الوهـاب وغناها وقد اتخذ بعض(١) الباحثين هذا الاختبار تكأة يتكئ عليهـا في تبيان ما لأحمد شوقى من قدرة على تأليف الشعر الغنائي والتمثيلي معا – يقول قيس محييا جبل التوباد على مشارف مضارب بنى عامر وهو جاهل بموت ليلى :

جبلَ التوباد حياك الحيـا   وسقى الله صبانا ورعـى
فيك ناغينا الهوى في مهـده   ورضعناه فكنت المرضعـا

ويقول قيس مستمرا في نشيده المؤثر :

ما لأحجارك صما كلمـا   هاج بى الشوق أبتْ ان تسمعـا
كلما جئتك راجعْت الصِّبـا   فأبت أيامه ان ترجعـا

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٦٠ .

قد يهون العمر إلا ساعـــة   وتهون الأرض الا موضعــــا

وبعد ان ينتهى قيس من إنشاده يظهر بشر على المسرح فيرى قيسا فيعزيه ويظن قيس وقد بانت آثار العشق عليه من نحول وبروز عظام واصفرار أن بشرا يعزيه في نفســـه فيقول :

أنا الميـــت يا بشـــــر   وإن أُخِّـر تكفيــــــنى

ولكن قيسا بذكائــــه يتيقن أن حادثا جللا قد وقع فيضطرب بشــــر ولا يملك في آخر الأمر إلا أن يصارحه بموت ليلى قائلا : " أجـــل ــ قضت أسر " . ثم يختفى بشر من المسرح ليمهد لظهور زياد مع قيس ويجد زياد قيسا وقد أغمى عليه فيقول :

هو مغمى عليه رَبِّ أيصحــو   هلى لهذا العذاب يارب آخــر

ويقترب قيس بعد أن أفاق من قبر ليلى وهو ينشد نشيدا مؤثرا تنخلع له القلوب :

أعينى هذا مكان البكـــــاء   وهذا مسيلك يا أدمُـــــعُ
هنا جسم ليلى هنا رسمها   هنا رَبّتى فى الثرى المــودعُ

ثم يخاطب نفسه قائلا :

طريقَ الحياة ألا تستقـــــر   ألا تستريح ألا تهجــــــعُ .

والغريب ان شيطان قيس الذى كان يوحى له بالشعر واسمه الأمــوى ظهر له وخاطبه قائلا :

أنا الذى أوحى اليـــك حب ليلـــى واقـــترح

فرد عليه قيس قائلا :

كنت تربين السوء لـــى وكنت شر من نصـــح
لولاك ما بحـــت بمـــا خدش ليلى وجـــرح

فما كان من الأموى إلا أن أجاب قيسا قائلا لـــه :

حنانيك قيس أقل العتــاب ولا تسكبن دموع النـــدم
تفردت بالألم العبقـــرى وأنبعُ ما فى الحياة الألـــم

وينصرف الشيطان ويقوم زياد وابن ذريح على قيس الذى يتوهم ان ليلى تناديـــه من وراء القبر فيجيبها قائلا :

لبيـــك يا ليلـــى بالـــروح وبالجســـم

وفى حشرجة قيس الأخيرة يقول قيس :

نحن فى الدنيا وإن لم ترنا لم تمت ليلى ولا المجنون مـات

وتنتهى رواية قيس وليلى وينسدل الستار على هذه المأساة .

.. ..

وقد بلغ احمد شوقى قمة الريادة للفن المسرحى الشعرى بهـــذه المسرحية التى ألفها بعد تأليفه لمصرع كليوباترا وكان بحق كما قيـــل عنه (١) منشئ الشعر التمثيلى فى الأدب العربى .

---

(١) حافظ وشوقى : د . طه حسين ، ص ٢٢١ .

وإن موضوع الحب الذى جعله أحمد شوقي عقدة مسرحيته موضوع انسانى عاطفى بل هو موضوع كل العصور وقد رفعه شوقي إلينا في هيئة العشق الذى ربط بين قيس وليلى وإن كان قيس قد أخلص نفسه للحب ولا شئ غير الحب - فهو لا يصارع ولا يكافح ولا يبذل مجهودا لكي يصل إلى من يحب فهو سلبي في حبه يتخذ الوسيلة إلى ليلى عن طريق صديق هو ابن ذريح ويتخذ الوسيلة اليها عن طريق أمير الصدقات وهو ابن عوف ولكن أن يبذل هو جهدا أو يقوم بعمل بطولى ملحمى فهذا مالم نجده في الواقع كما لم نجده عند أحمد شوقي في مسرحيته هذه - ومن ثم فقد ملأ قيس المسرحية بأناشيده الباكية التى فيها تعبير عن عشق يبرى الأجسام ويزيد السقام .

ولكن ليلى ظهرت في مسرحية شوقي وهي تصارع وتكافح وتبذل مجهودا في الاختيار بين طاعتها لحبها او طاعتها لتقاليد قومها - فالشاعر عند العرب إذا شبب بمحبوبته لم يكن له ان يتزوجها عقابا له - ومن ثم فإن ليلى حينما جاءها ابن ذريح ليتوسط لقيس ليتزوجها رفضته وذكرته بما قاله قيس عن ليلة الغيل حين كان يسهر مع ليلى وآخرين وآخرات ولكن قيسا بالغ في وقائع هذه الليلة مما سبب حرجا كبيرا لليلى ووالد ليلى - ومن ثم فقد استغل منازل وهو من حساد قيس ومن لائميه شعر ليلة الغيل وأعمل عمله البغيض في تحريض

بنى عامر لكي يسفكوا دمه حتى يخلو الطريق أمامه ـ وقد أجاد شوقي في إظهار حيرة ليلى ولكنها كانت إيجابية في اختيار الطريق الذى رأته فاختارت أن تتزوج وردا ورفضت قيسا وإن كان هذا الاختيار قد جر في نهاية الطريق الى المأساة ، فليلى لم يظهرها أحمد شوقي مخلصة للحب فحسب ولكنه أظهرها مخلصة للواجب واجب طاعة القبيلة وطاعة تقاليدها حتى لو جرّت الوبال لقلبها .

(فقيس لم يركب مركبا صعبا في حبه لليلى لم يصارع بل كان مستسلما على طول الخط يعشق وعند أول مواجهة يهرب و يسقم ويمرض ثم يهيم على وجهه لا يفعل مثلا كما فعل عنترة العبسي من قبل حين يمنعه قومه الزواج من عبلة فيتمرد عليهم ولا ينصرهم في معاركهم ويظهر صراعه البطولي ضد عادات قومه الظالمة وضد غارات القبائل المعادية . أما قيس فلم يفعل شيئا وهو في استسلامه لقدره استسلم لليلى في كل ما تشير به وقد لاحظ ذلك أيضا بعض الباحثين (١) .)

ولكنا نعجب في مسرحية شوقي بالشكل وبالألوان وبالصياغة فهناك الشعر القوى المؤثر وهناك اللحن الموسيقى الموحى ومن ثم فإن هذه المسرحية لحنت ومثلت غناء على المسرح كما مثلت القاء وهذا يدل على مقدرة شوقي على الشعر الغنائى ولم تكن هناك هنات بسبب اعوجاج

---

(١) المسرحية في شعر شوقي : د . محمود حامد شوكت .

القافيـــة أو بسبب عدم طواعية البحر فشوقي له قدرة عجيبة فـــي أن يستجيب له الشعر بأوزانه المختلفة وقوافيه المتعددة ولسيطـــرة أحمد شوقي في هذا المجال الشعري وجدناه قد جعل من قيـــس شاعرا بطلا لمسرحيته ولم يجعله بطلا شاعرا فالدور الأساسي لقيـــس لا لصراعاته ولا لإيجابياته وإنما لحلاوة شعره وجمال موسيقاه أي أن هذه المسرحية لو أقامها شوقي نثرا ولم يقمها شعرا لم نجد لهـــا هذه القيمة الفنية التي بهرت الوجدان وأثرت في المشاعر والعواطف.

ولا شك أن أحمد شوقي حين ألف هذه المسرحية العربيـــــة التاريخية فتح بابا أمام الشعراء العرب جعلهم يقتفون آثاره وينهجون نهجه ويسيرون على منوالـــه .

. .   . .

الباب الثالث

مبارك المغربي في مسرحيته "رجل من أهل الجنة - بلال بن رباح"

وقد حاول المؤلف خلال عرضه لهذه المسرحية أن يبرز لنا فكرة أن سعادة المرء في دنياه وأخراه لا تتحقق بمال أو ثراء أو عرض زائل بقدر ما تتحقق بالإيمان وجعل هذه الفكرة تبرز من خلال عرضه للأحداث التي مرت بالصحابي الجليل بلال فقد كان بلال عبدا رقيقا يمتلكه أمية بن خلف ثم آمن هذا العبد بالإسلام ولم يؤمن به إيمان فرد يريد أن يتخلص من عبودية ترهقه وتزهق أنفاسه فحسب ولكنه آمن به ايمان مبدأ وعقيدة ودين - فالإسلام لم يأت لتحرير العبيد فحسب والا ما اعتنقه إلا العبيد ولكنه أتى ليحرر النفس الانسانية من جميع ألوان الرق - فقد يكون الانسان حرا كأمية بن خلف الذى كان سيد بلال ثم تستعبده أهواء شتى كالتسلط والمال والشهوة حتى يهلك ولم تنجه كل هذه المعبودات - ولكن بلالا وقد كان العبد أصبح السيد سيد نفسه أولا وأخيرا ودانت له أمور دنياه حينما أعزه الله تعالى بالإسلام وقد بين لنا المؤلف من خلال عرضه لتطور انتقال بلال من عبادة الأصنام الى عباد الواحد الديان أن العقل كان هو الحكم في الموقف - فقد حكّم بلال عقله ورأى أن يقول لهبل :

لم تعد يا صخر عندى مثلما قد كنت ربا

لم أعد صَبَّاك فاختر لك من شئت صبَّا
كنت في حبك منساقا أرى حباك قربى (١)
إنني آمنت بالحقِّ ومن آمن لبَّى

والفصل الأول في هذه المسرحية عبارة عن أربعة مشاهد نسمع في المشهد الأول حوارا قرب مكة بين أفراد قافلة راجعة من رحلة تجارية الى الشام وهؤلاء الافراد على حسب ظهورهم هم بلال وسيده أمية بن خلف وأبو بكر وعدد من الرجال - ونفهم من هذا المشهد الأول شوق العائدين إلى مكة يقول بلال منشدا :

تبدَّت مكة الشما ء في فيض من السحر
فعمت ركبنا الأفرا حُ بعد مشقة السير

وكذلك نراهم على لسان بلال يمجدون " اللات والعزى " كما في إنشاد بلال :

غدا نستقبل الأربا ب بالترحاب والبشر

وكما في قول أبي بكر (ولم يكن الاسلام قد ظهر بعد) .

ومن هبل لقينا الخير قاصينا ودانينا

ويبين المؤلف مبارك المغربي في هذا المشهد الأول حنين بلال إلى الحرية ورغبته الجارفة في تحقيق ذاته ولكن أنىَّ له ذلك وهو العبد المغلوب على أمره ؟

---

(١) رجل من أهل الجنّة ص ٢٠

أنا عبد وليس للعهد وزن   وليالي الأسى عليه طـــوال

ويقول :

أأظل الحياة أتخذ الـذ   ل مطيا والناس عزوا وطالوا

ثم في المشهد الثاني يستقر هؤلاء العائدون في مكة ويظهر أميـة وأبو جهل وبلال ـ ونجد أمية يأمر بلالا بالغناء :

فاصدح فان القوم قد حضروا   ولأنت شادى القوم إن شربوا

فنجد أن أبا جهل يصرح بأن صوت بلال يثير لواعج الحب والأسى كما يحدث فرحا وسرورا في القلب .

وبلال إن غنى تملكنـــــا   حال نسر بها وننتحـــب
فنفوسنا بالسعد مفعمـــة   وقلوبنا بالحب تلتهـــب

فما كان من بلال إلا أن غنى أغنية فيها غزل بمكة إذ أنها مهـــد صباه :

فمكة الحب والأمانـــــى   سقى الحيا روضها الندبـــا
وسحرها خمرة الندامـــى   حلا رضابا وطاب ريـــا
أحبها مذ صبا فـــؤادى   وقد عرفت الهوى صبيـــا

ثم بعد ذلك يأمره سيده أمية بأن يوزع النذور على الآلهـــــة فيستجيب له بلال ولكنه يستأذنه في ان يكون هذا الوفاء بالغـــدر ليلا .

يقول بلال :

ان اقبل الليل أسعـــى مع الظلام قريـــرا
فالليل أندى دعـــاء لمن دعا مستجـــيرا

وهنا ينتهى المشهد الثانى ويبدأ المشهد الثالث ومعه نجـــد ظهور الاسلام إذ نجد أبا بكر يقابل بلالا عند هبل وهو يـــوزع النذور فيبين له أبو بكر شيئا عن الاسلام الذى ظهر واعتنقـــه فيستجيب بلال استجابة خفيفة ليس فيها العمق وهكذا تطور المؤلف بالاستجابة للإسلام كحالة نفسيـــة فبدأها بدء خفيفا كما يحدث فى الواقع وتبدو واقعية المؤلف هنا إذ أنه لم يجعل بلالا يستجيب لأبى بكر فى أمر اعتناقه للاسلام استجابة عنيفة متعصبة فيها رعونـــة وتسرع ـ يبدأ هذا المشهد الثالث بقول أبى بكر حين يلاقى بلالا :

إلـىّ بلال أصغ الى حديثـى حديثٍ لم يكن يخطر ببـال
أتدرى من محمد ؟

فيقول بلال :

من قريـــش كريم الأصل محمود الخصـال

وهكذا يظل ابو بكر متدرّجا مع بلال فهو لا يفجؤه بالاسلام ولكنـــه يأخذ بيده خطوة خطوة ـ وكان المؤلف متمكنا من اضفاء ظـــلال من الواقع على تمكن العقيدة من القلوب عن طريق دخولها جـــزء

جزءا - فهو يجعل أبا بكر يسأل بلالا عن محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فيجيبه بلال بأن محمدا كريم الأصل محمود الخصال ومن ثم يقول له أبو بكر :

أتاه الوحى من رب علـــى مجيب للنداء وللســؤال
يوحد ربه ويظل يدعـــو لدين الله فى كل المجالى

ونجد بلالا هنا يستغرب من التوحيد الموجود فى الدين الجديـــد وهو قد عرف التعدد فيقول مستغربا :

وآلهة الحجارة كيف نبغى سواها وهى من صنع الأوالى

ويقصد المغربى بالأوالى هنا " الأوائل" وهو نوع من التصحيـــف الذى يجوز فى الشعر لمسايرة القافية - ويكون رد أبى بكر منطقيـــا مسايرا لانماء الحدث عن طريق تبيان الموقف الراسخ النابع من ايمان ابى بكر - فيقول أبو بكر :

رويدا يا بلال فأى خـــير ترجى فى صخور من جبـــال
أتسمع ما تقول لها ؟ أتقوى على ما قد تجئ به الليالـــى
أتحيى ميتا ؟ أتميت حيـــا أتبعث من جديد كل بـــال
بلال وانت تعرف قدر حبى وتعلم أن مثلى لا يغالـــى
فتب للرشد واتبع خير هاد تنال بفضله اقصى المنـــال

والصحة النحويـــة تقتضى حذف ألف (تنال) وجزم هذا الفعل المضارع

لأنه جواب الأمر - ولكن الشاعر لم يفعل - أوقعه في هذا الخطأ الوزن وتكاليفه الصارمة .

هل نعرف ماذا قال بلال ؟ هل أسرع بالاستجابة ؟ - لو أسرع بالاستجابة لدعوة أبي بكر لقلنا إن هذا أمر غير منطقي ومن ثم فقد راعى المؤلف هذا كله ووجدناه يقول على لسان بلال :

أرى التفكير فيما قلت خيرا　　　من الاسراع وان الأمر غالي

وهكذا يتركنا المغربي مع بلال الذي يزن الأمور ويقيسها ويستخدم عقله لكي يصل إلى الإيمان الذي حققه في المشهد الرابع والأخير من هذا الفصل الأول فنجد بلالا يقول لهبل الصنم :

لم تعد يا صخر عندي　　　مثلما قد كنت ربا

لم أعد صبك فاختر　　　لك من شئت صبا

كنت في حبك منساقا　　　أرى حبك قربى

ثم يعلن إيمانه صريحا بالحق الذي لا يماري وأنه اسرع بالاستجابة إلى التوحيد غير عابئ بسيده أمية بن خلف الذي ظل على كفره، وغير عابئ بصناديد قريش الذين استمروا في عنادهم - يقول بلال :

إنني آمنت بالحق　　　ومن آمن لبي

وحين يسمعه رجل من الكفار يعلن هذا الإيمان نجده يطلب من زميل له بأن يذهبا سويا إلى أمية بن خلف ليخبراه بإيمان بلال - يقول

الرجل :

فهيا اذن للغيور الأبيّ

وبذلك ينتهى المشهد الرابع وينتهى الفصل الأول لعلنا نجد بداية العقدة المتمثلة فى إيمان هذا العبد (الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا) برسالة الاسلام الجديدة . وقد أحسن المؤلف حين أدخل الايمان فى قلب بلال قطرة قطرة حتى لا يجف نبعه وحتى لا يتزعزع هذا الإيمان مهما لاقى صاحبه من خطوب وأهوال — وكذلك فقد دار صراع نفسى داخل شخصية بلال وقد سمح المؤلف به — بطريقة تلقائية غير متكلفة وذلك حين أثار هذا الإيمان بالدين الجديد نوازع نشأت معه منذ الصغر من تعظيمه للأوثان ومن محبته لها ولم يجعل المؤلف بلالا يترك عقيدته القديمة هكذا فجأة وإنما فكر وأدار الأمر فى نفسه وتجسم هذا الصراع النفسى فى قوله يناجى هبلا :

أغثنى قبل أن تسعى بذور الشك فى ذاتى

ولكن بذور الشك فى عقيدة الاوثان قد أنبتت عقيدة صحيحة بيّنة كان لأبى بكر الفضل فى تصديرها له — ومن هنا وجدنا بلالا بعد ذلك يسب هبلا أمام الناس لا يبالى — وهذا السبّ للآلهة لم يتم طفرة وإنما وزن بلال الأمور وانتهى إلى أن قال :

يا جمادًا مِنْ صخور أىُّ خير منك أربى

أنت أهل ان ترى الـذ ل وأحرى ان تُسَبّـا

.. ..

والفصل الثاني به أربعة مشاهد ايضا :

المشهد الأول فيه اجتماع يعقده أمية ومعه أبو جهل وبعض رجال قريش يحاولون أن يجعلوا بلالا يرتد عن دينه والا فانهم سيعذبونه يقول أمية :

ان عبد السوء ما أرذله قد نضا عن وجهه ثوب الحياء
جاء بالعار لنا مبتدعا بدعة كبرى رواها البسطاء
لست أقضى الأمر الا بكم فانظروا فيه وقولوا ما الجزاء

وتتفاوت ردود القوم فمنهم من يجعل اللين وسيلة للوصول الى رجوع بلال عن الاسلام ومنهم من يطلب ان يعامل بالعنف يقول قرشي من أنصار اللين :

راجعوه فى أناة رُبَّ لِين حَوَّله

أما أبو جهل فهو من أنصار العنف حين قال لأمية :

أرى العبد قد ضل الطريق سفاهة
وخير لهذا العبد ان يعرف الدربا
خذ العبد بالايذاء تأمن شروره
فرب أناة فى الأذى تجلب الكربا

فيستجيب أمية للرأى الذى نادى بالعنف ويضرب بلالا بالسوط قائلا :

تجرأت عبد الذل خذ أول الأذى

وكل ذليل النفر يستأهل الضربا

ولكن بلالا لم يخضع للتهديد وظل متمسكا باسلامه يقول " أحد — " أحد "

— وهنا وجدنا أحد القرشيين يسأل آخر عن معنى كلمة "أحد" التى يتفوه بها بلال — فيجيبه الآخر قائلا :

كثيرا ما يفوه بها سفاها : وتعنى أن رب الناس واحد

ويظهر ابو بكر فى آخر هذا المشهد الأول وهو يقول :

رب أين الصفىّ أين بلالُ

أترى التف حوله الجهال

لم أطق بعده فقد ظل فينا

أملا مشرقا عليه جلال

رب هبه الحياة للموقف الصعب

لتحيا بمثله الآمال

وقد مهد المؤلف لظهور ابى بكر هذا التمهيد الحذر فهو لم يظهره فى أول مشهد التعذيب وإلا لتغير المشهد ولم نعرف مدى تضحية بلال ومدى ما يفعله الايمان بالقلوب من اثارة للصمود والدفاع عن العقيدة — إذ كان ابو بكر فورا سيشترى بلالا ويعتقه فكان للمؤلف هنا حجة ظاهرة فى تأخير ظهور ابى بكر حتى نهاية المشهد ليطلع النظارة على

مناظر التعذيب البشعة التي كان بلال يئن تحت وطأتها ولكنه صبر ولم يتزعزع عن ايمانـــــه .

أما المشهد الثاني فنجد أن ورقة بن نوفل يقول لأمية بن خلف :

إلام تَسُوم العبد ما لو جرى علـــى
ليوث الثرى لم تقوَ يوما على الصبـــر
ألا ترحم المسكين يوما وقد مضـــى
على الذل والتعذيب أكثر من شهـــر

ولكن أمية لا يستجيب لرجاء ورقة بن نوفل ويظل معذبا لبلال، فما كان من ورقة بن نوفل الا ان قال في عفوية صادقة قولة الحق :

وأغلب ظني أن دين محمـــد   سيقوى ويضحى في غد عاطر الذكر

وبعد أن يذهب ورقة نجد في نفس المشهد حوارا مستمرا بين أمية ابـــن خلف وأبي جهل وكان كل منهما كالشيطان — فأمية يشتط في تعذيبـــه لبلال حتى انه ليقول :

أرى ان تقتل الأفـــا   ق فالراحة في القتـــــل

فيجيبه ابو جهل بقوله :

غدا قبيل الظهـــ   ـر والرمضـــاء تلتهـــــب
سنشوي جلده المغــ   ـبرَّ لا نـــار ولا حطــــب
غدا ينتابه الإعيـــ   ـاء والأنفـــاس تضطـــرب
فيترك دينـــه المزعــو   م لا هـــم ولا صخـــب

وفي نفس المشهد نرى ان ورقـــة يذهب الي أبي بكر ويخبـره بأن بلالا كاد ان يموت بسبب تعذيب سادته له فما كان من أبي بكر الرفيق الشفوق إلا ان استجاب لورقة بن نوفل وعول على شراء بــلال من أميـــة ــ قال ابو بكر :

في غد إن شُفِيت أسعى اليه   وفداء الرفيق روحي ومالـــي

وفي هذا المشهد الثاني تتغير المناظر فمرة نجد ورقة وأمية ومـرة أمية وأبا جهل ثم نجد اخيرا ورقة مع أبي بكر وهذا التداخل يجعل اخراج مثل هذا المشهد في غاية الصعوبــة .

وفي المشهد الثالث من الفصل الثاني نجد أمية وأبا جهل وبلالا ــ ويكرر بلال في هذا المشهد تسبيحه لله ــ وكان هذا التسبيـــح بقوله " أحد ــ أحد " هو رده على تعذيب سيده له ثم يدخل أبو بكر في هذا المشهد ونجد أمية يقول لــــه :

أترضى لمولى خامل الذكر ان يـرى
جحودا وأن يأبى الخضوع لسيـــد

فيقول أبو بكر قولة المؤمن :

أتؤذونه أن قال إنَّ محمـــدا   رسول أتى بالحق فينا لنهتدى

وينتهى الحوار بشراء أبي بكر لبلال .

وفي المشهد الرابع والأخير من هذا الفصل وجدنا أبا بكر يعتـق بلالا قائلا لــــه :

لوجه الله يصحبك الوفاء ويحفظك الإله لما يشاء
عرفتك يا بلال أخا كريما تحف بك المروءة والإباء
إمام الصابرين فدتك نفسي ومثلك كم يهون له الفداء
فأنت لدين احمد خيرداع وأنت له المهنّد والمضَاء

وتجلى في هذا الفصل الثاني الانسانية التي ترينا كيف أن الدين قد خلق هذا التعاطف بين الغنى الحر وهو أبو بكر وبين العبد الفقير وهو بلال بن رباح .

وفى هذا الفصل الثاني تتطور العقدة التي بدت خيوطها في الفصل الأول — فقد قلنا من قبل إن العقدة بدت حين قام العبد بلال يعلن ايمانه بالاسلام وهذا الايمان من عبد في هذا الوقت انما هو " هم " أضيف الى هموم أفلا يكفيه ما هو عليه من عذاب وإهانة وذل وطاعة عمياء ثم يضيف اليه فوق ذلك سخط سادته عليه بعد إيمانه — هذا هو تأزم الموقف في الفصل الأول ، اما في الفصل الثاني فتأزم الموقف جدا حين رأينا المشركين يقيدونه ويضربونه بالسياط ثم يرمونه في رمضاء الصحراء ويضعون على صدره الحجارة الصلدة ولكنه لا يتراجع عن إيمانه ويظل على هذا الحس الايماني العميق يردد (أحد — أحد) — ثم تتشابك خيوط العقدة وتتجمع في يد أبي بكر الذى يسارع ويفكها حين يشترى بلالا ثم يعتقه لوجه الله الكريم لا يبغى على

ذلك جزاء ولا شكورا ويعبر المؤلف عن هذا كله بشعر جزل سهل يقطر جمالا من خلال ألفاظه المنسقة ـ فمثلا نجد بلالا يقول :

ما نسيت الخير بل أذكره   أى خير فى ضلال وخطل ؟
كنت مثل العير فى بيدائها   تحمل الزاد وتحيا فى محل
قد هدانى الله للحق وما   جاءنى بالحق أبقى وأجل
فاصنعوا بى كل ما يبدو لكم   أنا بالاسلام لا أرضى بدل

ولو قال فى البيت الاخير كلمة " البدل " بدلا من (بدلا) لم يكن ليقع فى خطأ نحوى، وكذلك لم يكسر البيت وهذا الشعر على لسان بلال فيه سماحة المؤمن الذى لا ينسى حتى ولو للكافر جميله ثم يشرح بلسان عذب كيف كان فقيرا وهو يحمل الخير والآن اصبح مؤمنا وايمانه هذا عميق لدرجة أنه يستعذب كل ما يلاقى فى سبيل خير الاسلام والحق ـ وقد قرظه ابو بكر على هذا الايمان قائلا :

صبرت بلال ولم تجزع   وذقت الهوان فلم ترجع
ضمنت الخلود بهذا العذاب سعيدا مع السجد الركع

.. ..

الفصل الثالـــث :

وفى المشهد الأول نجد أيضا بلالا ولكنه هنا يتحاور مع سعـد وهذا الحوار فيه إعجاب يبديه سعد بحسن صوت بلال ثم يتطور الحوار إلى اظهار دعوة الحق والدليل على ذلك الوفود المقبلة والتى يبايع أفرادها رجالا ونساء النبى صلى الله عليه وسلم - كل هذا لا يبـدو إلا بطريقة السرد التقريرى ولا يظهر أمام المشاهد - نستمع أولا الـى صوت بلال وهو يغنى مادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا رسول الله يا سنـــدى   يا حبيب الواحد الأحـــد
يا شفاء الروح من سقـم   ودواء القلب من كمـــد
يا ضياء عم ساحتنـــا   بالهدى والحق والرشـــد

وكأن بلالا حين كان يشدو بصوته الحلو العذب كان يسهم فى دفع الناس إلى اعتناق الاسلام - يتضح هذا فى قول سعد بن ابى وقاص :

كأنك ان صدحت دعوت نجـــدا
ويثرب للقدوم إلى الخبيـــب
لقد أضحت وفود القوم تأتـــى
لمكة من بعيد أو قريـــب
تبايع من أتى بالحق فينـــا
بعيد الشرك والجهل المعيـب

فيرد بلال الرد المنطقى والذى تظهر فيه الشجاعة المستمدة من الايمان

وَعَدْتُ ولست بعد اليوم أخشى
أذاةً من حسود او رقيب

وكذلك يوضح أن الاسلام أنقذ الناس من الضلال :

لقد كنا قديما في ضلال وكان الناس في حال عجيب

ويعيد سعد ما كان يقوله بلال ويزيد عليه ان الجاهليين كانوا يقلبون الرشد ضلالا ويقلبون الحق باطلا :

نعم كانوا يرون الغي رشدا فما للحق فيهم من مجيب
فكم عبدوا الحجارة عن غباء وكم وأدوا البنات بلا ذنوب

ثم في النهاية نجد سعدا يحمد الله على لسانه ولسان بلال على أن هداهما الله للاسلام في قوله :

فشكرا للذى أضفى علينا هدى الاسلام في أوفى نصيب

ويقوم بلال وسعد ذاهبين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة المغرب يقول بلال :

تعال معى فقد كادت ذكاء على الآفاق تجنح للغروب
لنسعد بالصلاة معا ونلقى حبيب الله في النور القشيب

ويقول سعد :

إليه فقد ظمئت الى سناه وضوء جبينه السمح المهيب

وفي هذه المسرحية نجد المؤلف مبارك المغربي يجمع المؤمنين حول

بلال ليتحدثوا عن صبره وقوة ايمانه وكذلك نجده يجمع المشركين ليتآمروا ضد بلال . ويبدأ المشهد الثاني من هذا الفصل الثالث بحديث يدور بين أمية وبين ابى جهل ويشترك معهما آخرون من المشركين وذلك لحصار من آمن فى شعب من شعاب مكة حتى اذا أحسوا بالجوع والحرمان رجعوا إلى دين اللات والعزى وهبل مرة أخرى.

ـ ويبدأ هذا المشهد بقول أمية مستشيرا :

كيف الخلاص من الداعى ودعوته
وتلك أنباؤه فى البيد تنتشر

ويجيد المؤلف محاكاة ما يجرى على لسان أميّة عدو الدعوة الاسلامية الذى كان يعتبر من أسلم قد عمى عن طريق الرشاد . هاهو يكمل كلامه ويقول :

قد عمت الدعوة النكراء من عميت
قلوبهم ومضت فى اثرها السير

ونجد ان المؤلف يتسع له القول ليحكى على لسان رجال من قريش لم يؤمنوا بعد ان النّجاشى قد استقبل المسلمين المهاجرين اليه بالترحاب والسرور وهذا مما يزيد من غيظ أمية وأبى جهل فيسارع أبو جهل إلى وضع خطة محكمة ليرجع المسلمون عن دينهم يقول ابو جهل :

ان رأيى ان تزيلوا كل اسباب الرجاء
حطموهم بسلاح الجوع فالجوع فناء

لا تمدوا العون للأطفال منهم والنساء

ويوافق المؤتمرون على هذا الرأى فنجد المشرك القرشى يزيد على ما كان قد اقترحه أبو جهل فهو يدعو الناس الى عدم البيع والشراء مع هؤلاء المحاصرين حتى يعود المسلمون الى الشرك مرة أخرى :

حرموا البيع على القوم ولا تبغوا الشراء
واكتبوا فى كعبة الأرباب لا نرجو التقاء
فى غد يستسلم الداعون من فرط العياء
ويثوب الصابئ المسحور من هذا الهراء

وحينما يستقر الرأى على هذا الذى دعا اليه ابو جهل والمتكلم الأخير نجد أن أمية يوافق فى قوله :

انه رأى صواب ليس فى الأمر مراء
دامت الأرباب فى عز وزيدنا فى اباء

ثم يبدأ المشهد الثالث وفيه يتناول المؤلف أمرا متصلا بالرغبة الحارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ايمان الناس جميعا أقويائهم وضعفائهم ـ ولما كان الأقوياء الأغنياء الذين أتوا اليه صلى الله عليه وسلم قد أبدوا شيئا من الغضاضة فى الجلوس فى مجلس فيه رجال كانوا فى الأصل عبيدا مثل بلال وخباب وعمار فقد ظن هؤلاء المؤمنون أن وجودهم فى نفس المجلس مع هؤلاء قد يكون سببا فى حرمان الصناديد

من أهل الشرك من الإبهات ومن ثم فقد غادروا المكان — ولكن الله تعالى يبين لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن الصبر مع هؤلاء الضعفاء أمثال بلال وخباب وعمار الداعين لله بالغداة والعشي لوجهه سبحانه هو المستحبة كما في قوله تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا (١) " .

أنظر الى المؤلف الاستاذ مبارك المغربي وقد مهد في المشهد الثالث من هذا الفصل الثالث لهذه الصورة في قول أحد الصناديد الذين أراد الرسول عليه السلام منهم أن يسلموا قال :

ما لهذا الرسول ليس لديه صولجان ولا لديه موالي
ما عرفنا الولاة إلا عظاما ليس من بينهم ضعاف الحال
قد قدمنا له وكل منانا أن نرى عنده خيار الرجال
ما تقول الوفود حين ترانا في مكان يضم مثل بلال

فيرد عليه صنديد آخر :

---

(١) سورة الكهف : آية ٢٨ وآية ٢٩ .

قد صدقت الحديث أى جلال　　في مقام من المهابة خال
نحن لن نقبل الجلوس مع العبـ　　ـد وأمثاله من الأنـــذال
إن ما نبتغي ونصبو اليه　　مجلس في اليمين او في الشمال
نلتقي فيه بالعظام ذوي القد　　ر ونحظى بالبشر والإقبال

ونجد أن عمارا يرضى بالخروج هو وبلال وخباب يقول عمار :

رضينا من رسول الله هذا　　حماه الله من كيد العداة

ويقول بلال :

لقد نلنا من المختار ما لم　　ينل أدنى الأحبة والـــذات

أما خباب فيقول :

نعم فقد ظل يكلؤنا جميعا　　ويجمع شملنا بعد الشتات

ويعود بلال ويناجي نفسه قائلا :

بنفسي أنت يا آمال نفسي　　وأعظم ما أرجى في حياتي
لماذا تستجيب لقوم سوء　　وتبعدنا ونحن من الثقات
أزهدا في الضعاف من الموالي　　وهم للدين من خير الدعاة ؟
أم ان القوم قد دسوا علينا　　يكادوا للأحبة والولاة
رسول الله حاشا أن تراني　　سوى الخل المفدى بالحياة

أما المشهد الرابع فنجد فيه أحد زملائه السابقين وكان عبدا عند أمية يحاول أن يغري بلالا بالنكوص عن الاسلام ليعود الى الشرك مرة أخرى — والمشرك هنا يجعله المؤلف مبارك المغربي ينظر الى الأمور

نظرة ماديـــة ضيقة فهو حين يرى جسم بلال وهو نحيل والى وجهه وقد بانت على ملامحه علامات الاجهاد يظن أن بلالا سيعود سريعا الـــى سيده أميـــه مُعْلِنا رجوعه الى الشرك مرة اخرى ليحظى بالفراش الوثير والطعام اللذيذ يقول هذا المشرك وكان من قبل عبدا لأمية وصديقـا لبلال :

أبعد العز والنعماء ترضـــى بهذا البؤس والذل المبيـد
وبعد النوم فوق وثير فـــرش تبيت على الحجارة فى الصعيد
وبعد معية الأسياد تمشـــى مع الأوغاد للموت الأكيـــد

فما كان من بلال إلا أن يرد عليه بصوت فيه حِسّ المؤمن وصلابتــــه وتمسكه بالحق ووقوفه مع إخوانه المؤمنين :

كذبت فإنهم أسْــنَى مقامـــا وأعظم عند ذى العرش المجيد
عرفت بهم طريق الله حقـــا وسرت بهم إلى المجد التليـد

ولكن صديقه القديم ورفيقه عند أمية يعاود الكرة من جديد فيقول مغريـا بلالا :

بل انظر كيف صرت تجد حطامــــا
طوته مصائب الكرب الشديـــــد
سمعت أمية يدعو منــــــاة
قبيل الصبح فى ذل السجـــــود
لترجع للحمى من غير ســــوء
وتظفر بالرضى بعد الجحـــود

سيصفح عنك سوف تعيش حــــرا
ودأب أميـــةٍ صدقُ الوعـــــود
ورأيي ان تعود قرب عــــوْد
يعيد لك السعادة من جديــــد

ويعود بلال مرة اخرى ولكن إلى الاصرار على إيمانه وعدم العـــودة إلى أميـــة :

محال ان أعود فقد وقاني ضياء الحق من ذل القيـــود
لقد آمنت والإيمان زاد به أقتات في الدرب البعيـــد

ولا ييأس الرفيق القديم ويذكر بلالا بما حدث له بالأمس حين خرج مـــن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه خباب وعمار فيقول :

وفيم طردت أمس وأى ذنب جنيت سوى انتسابك للعبيـــد

فيرد بلال مدافعا عن الاسلام وما قد جاء به من المساواة والعـــدل وأنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى :

خسئت فلست عبدا بعد هـــذا
فما بين الصحابة من مســـود
ودين محمد دين التســـاوى
ونبراس الهدايـــة والخلـــود

وحينما ييأس رفيقه القديم يغادر المكان ولا يبقى إلا بلال الذى يأتيـه أبو بكر ويخفف عنه ما به ناصحا اياه ألا يستمع الى وسواس هـــؤلاء

هؤلاء المشركين ثم يُظهر بلال لأبي بكر ما في نفسه من خوف على الإسلام من أمثال الأقرع بن حابس الذى أتى في مجلس الرسول صلى الله وعليه وسلم بالأمر وكان سببا في خروج بلال وخباب وعمار فيرد عليه ابو بكر مطمئنا ويقول له :

طبت نفسا يا كريم النفس يا خير رفيق
لا تصح يا صاح للأو هام من غير وثوق
كم دعا الله رسول الحق من قلب شفيق
ان يعين الله أمثال بلال وعتيق
ليعم الدين كل الكون في كل طريق

وفي هذا الفصل الثالث وجدنا من خلال حوار جرى بين بلال وسعد بن أبي وقاص كيف أن الاسلام يدعو الى احترام الانسان وعدم خضوعه للأوثان وضعه لوأد البنات وانتقل المؤلف فوجدنا أمية وأبا جهل يتحاوران مظهرين غيظهما من الاسلام ومما زاد من غيظهما أن النجاشي ملك الحبشة قد رحب بالمسلمين المهاجرين إليه من أذى كفار قريش وانتهى الرأى الى تحديد إقامة المسلمين في شعب من شعاب مكة — وبعد أن انتهى تحديد اقامة المسلمين وجدنا بعض الوفود تأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكى تسمع عن الاسلام وبعض هذه الوفود استاءت من وجود بعض الذين كانوا عبيدا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد عالج المؤلف هذا التناقض ما بين ما في

نفسية هؤلاء من الكبرياء وما في الاسلام من دعوة الى التساوي وأن الناس جميعا سواسية كأسنان المشط معالجة رقيقة تنم عن نفسية حساسة فوجدنا بلالا ،وان كان قد حزن لخروجه من مجلس الرسول عليه السلام حين وفد هؤلاء الكبراء إلا أن خروجه كان لحكمة وهذه الحكمة لا تتنافى أبدا مع مبدأ المساواة وذلك لأن الاسلام كما أحب الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان يدخل كل القلوب قلوب الأغنياء وقلوب الفقراء على السواء وقد أبان لنا المؤلف أن بلالا قد فهم هذا المقصد الأسمى دون التواء .

.. ..

الفصل الرابــــع : انفصل الرابــع

وهو يتكون من ثلاثة مشاهد : المشهد الأول نجد فيه بـلالا وعمارا وأبا بكر يتحدثون عن الحق وصدق القرآن وفضل رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم على المسلمين . يقول بلال مبينا فضـــل القرآن الكريم :

أنزل الرحمن من آياتــه ما أزال الهم عنا والعنـاء
قد تلاها صادق القول لنا وهو من نعلمه رمز للوفــاء
بالدين عز من لاذ بــه انه دين التقى والأتقيـــاء

ثم يقول عمار :

لم يخب ظني فقد كانت لنا في رحاب الله آمال وضـــاء
لا يرد الله من لاذ بـــه أو يضيع الله أجر الخلصـــاء
يا رسول الله يا خير الورى دمت للاسلام درعا ووقـــاء

ثم يقول ابو بكر :

قد أراد الله خيرا بالحمى اذ أبان الحق من غير خفـاء

ووجدنا رجلا يشكو من ظلم المشركين للمسلمين بمكه فيقول لأبى بكر :

ذقنا الأمريـــن منهـــم والجوع أفنى الصغـــارا
قد جردوا ما لدينـــا بالأسر دارا فـــدارا
فيا عتيـــق أجرنــــا فالناس ترجو الخيــــارا

وقد بين هذا المسلم لأبى بكر كيف ان المشركين جردوا المسلـــين

مما في بيوتهم من طعام وملبوس وغير ذلك - وهذا كله تمهيد للحديث عن الهجرة من مكة المكرمة للمدينة المنورة - ونجد في المشهد الثاني أبا بكر يأتي فيقول لسعد :

جاءنا الاذن بالرحيل　　من لدن واهب جليل
سوف نأتي باذن ربي　　يثربا مُنْيَةَ الرسول

ويطلب ابو بكر من سعد أن يذهب ويخبر المسلمين بذلك فيقول :

فامض يا سعد في خفاء　　واتخذ أيسر السبيل
خبر القوم في هدوء　　جاءنا الاذن بالرحيل

وقد تناول المؤلف حدث الهجرة تناولا فيه تقرير لواقع حي كانت تضطرب به نفوس المشركين وقد أوقع المؤلف على ألسنتهم ما كانوا يقولونه في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم من إفك وزور فها هو أبو جهل يقول :

أحقا أتى الأوس والخزرج　　لهذا المخادع من يثرب ؟

وفي المشهد الثالث نجد العواطف الجياشة في قلب بلال تجاه مكة المكرمة وهو قد علم أنه سيغادرها فقال :

أنت يا مكة همي　　بأبي أنتِ وأمي
ما سلوناك ملالا　　كيف نسلو خير غنم

وكلمة " غنم " هذه ثقيلة ولكن الروي هو الذى حكم على المؤلف بها

فلم يجد بدا من استعمالها كذلك وجدنا سعدا يسعف بلالا بالعزاء حين يقول لـــه :

فيم تبكى يا بـــلال أنت حانٍ ما تـــزال
هذه مكة لم يبـــق لنا فيهـــا مجـــال
ضجرت منا ولم يبـــد لنا منها ـــــلال

ثم وجدنا أبا بكر يبلغ الأصحاب إذن الرسول عليه السلام بمغـــادرة مكة يقول ابو بكر :

لقد أذن الرسول لكم جميعـــا بهجرة مكة دون اضطـــراب
فسيروا خفية والليـــل داج ليثرب واحذروا فتك الذئاب

وهنا سأله عمار عن هجرته هو فقال ابو بكر :

غدا مع المختار أمضـــى باذن الله للأمر المجـــاب

وهكذا ينتهى الفصل الرابع وقد تم العزم على الهجرة فكأن هـــذا الفصل كان تتمة للفصل السابق له الذى يعالج نفر الفكرة ومن ثـــم فإن تكرارها لم يكن لـــه مبرر .

.. ..

عندما سلمى ----

عندما سلمى صبا ناظراها :. والتقى الروحان في ومض الشعاع

قلتُ يا دنياي مرحى !

لحبّي للآمال صرحا

وانتشت روحي وغنت

بُلغت ما قد تمنت ..

عندما سلمى صبا ناظراها :. والتقى الروحان في ومض الشعاع .

أي حسن قد حوته مقلتاها :. أي سحر شاع في الدنيا وذاع ؟

أرسل الأصداء لحنا

وأحال الكون مغنى

رف انداءً وطيبا

واكتسى ثوبا قشيبا !

عندما سلمى صبا ناظراها :. والتقى الروحان في ومض الشعاع .

أنموذج لقصيدة بخط الشاعر حسن اليماني

الفصل الخامس :

يتكون هذا الفصل من مشهدين : في المشهد الأول وجدنا حدث الهجرة للمدينة ينمو من خلال الحوار فنجد عمارا وبلالا وسعدا يتحاورون وحوارهم يدور حول تركهم لمكة/وهذا أمر مؤلم ولكنه يهون في سبيل الله - يقول بلال :

في سبيل الله سيري يا قلوصي لا تخوري

وهو في هذا الحوار يدعو للرسول عليه السلام وللمسلمين بالنصروالنجاة من كيد المشركين :

يا إلهي يا معيني يا أمان المستجير
نجِّ من يدعو إلى الإسلام من فتك المغير
وارع اهل الحق يا رباه للفتح الكبير

وتبدو لحظة الوصول إلى يثرب في قول سعد :

أخال أنا وصلنـــا بعد النضال الطويل
من ذا يصدق أنا جئنا ديار الرسول

ونجد المؤلف الأستاذ مبارك المغربي يذكرنا دائما بالصوت الشجي المنبعث من آذان بلال يقول أحدهم :

نعم ذا بلال وفي صوته حنان يذيب الصخور الصلابا
إذا حان وقت الصلاة انبرى قويا نديا ينادي الصحابا

كذلك علمنا في هذا المشهد بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق أبا بكر قد وصلا المدينة المنورة قال ابو بكر :

الحمد لله رب الكون أنجانــا   من الأذى ورعى من ظل يرعانــا

ويمهد المؤلف لموقعة بدر في هذا المشهد الأول بقوله على لســان بلال مخاطبا أبا بكر :

يا أعظم الصحب اخلاصا ومكرمـــة
وأصدق الناس اسلاما وايمانـــا
أما يزال أبو سفيان متخـــذا
مكانه عند بدر حيثما كانـــا

وفي المشهد الثاني نجد الحوار يدور بعد موقعة بدر الذي انتصر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون على الكفار - ونجـــد أن بلالا يبلو أعظم البلاء في " بدر " ويمكنه الله تعالى من قتل سيـــده القديم الذي عذبه على اسلامه وهو أمية بن خلف يقول أحدهم متحدثا عن كيفية قتل بلال لأميـــة :

كم سقـــى صارمــــه   غصص الموت البهاليل الفحـولا
شد مسعورا على سيده   سيد الأمس فأرداه قتيــــلا

وكلمة "مسعورا" هنا نابية ولو أن الشاعر أتى بكلمة اخرى لكان أوقـــع وأشد تأثيرا . وكذلك وجدنا الشاعر في هذا المشهد الثاني مـــن الفصل الخامس يستعير أبياتا لغيره من قدماء الشعراء ويصوغ أشعــارا قبلها وبعدها - فهو مثلا يأخذ البيتين اللذين يقولهما الشاعرالقديم :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلـــة
بواد   اذخر وجليــــل

وهل أردن يوما بمياة مجنـــة

وهل يبدون لى شامة وطفيـــل

ثم يستهل قبلهما شعرا على لسان بلال يقول فيـــه :

لك الحمد يا رباه فى كل لمحة

فأنت بنا ياذا الجلال كفيـــل

ويختم بعدهما بقولـــه :

وهل ألقين أحبابنا بعد غيبـــة

فنسعد والهم الممض يـــزول

ويستجيب الله تعالى للدعاء فنجد المشركين بمكة قد نقضوا العهـــد ويتأهب الرسول عليه السلام لفتح مكة ، ظهر هذا على لسان أبى بكر الصديق :

لقد نقض الظالمون الذمـــام

بما أحدثوا من تعد صـــراح

فهيا بنا فالرسول الكريـــم

دعانا جميعا لحمل الســـلاح

سنمضى خفافا لأم القـــرى

لقد آن بعد الغدو الـــرواح

.. ..

الفصل السادس

وهو يتكون من ثلاثة مشاهد — المشهد الأول — يظهر فيه سعد وأبو بكر وبلال وبعض المشركين كما أن طلائع جيش المسلمين القادمة لفتح مكة تبدو بوادرها من الحوار الدائر ويفتتحه سعد مخاطبا بلالا مذكرا إياه برجوعه الى مكة بعد هجرته منها :

بلال حي الربوعـــا   واذرف عليها الدموعـــا
قد كنت بالأسر ترجـو   يوم اللقاء جزوعـــا
واليوم حان التلاقـي   والقيظ حال ربيعـــا

وهذا الكلام لا يشعر بإحساس مؤثر وهو ألفاظ عادية مرصوصة لتكون شعرا فهذه الدموع التي طلب سعد من بلال أن يذرفها لا شك أنها دموع الفرح ولكنها لم تكن لتأتي هكذا كما وصفها الشاعر ثم إنه قبـل ان يأتي إلى مكة مع جيش الفاتحين كان جزوعا — ثم أحس حين قدم مكـة بأنه في ربيع واستحال الحر الى اعتدال الهواء واسترواح النسـيم — عبّر مبارك المغربي عن المعاني السابقة كلها ولكن في كلمات غير معتنى بها — وكان خاضعا للقافيـة — ولكنه في أبيات تاليـة وجدناه ينتقل نقلة من النقيض الى النقيض فوجدنا جزالة اللفظ وقوة التعبير وسلامـة القصد وحسن الموافقـة وذلك على لسان بلال وهو يحدثه :

شوقي اليك محالفـي   وهوى أديمك تالفـي
وغرامك الطاغي الملـح   قوي بقلبي الواجـف

ويواصل بلال التغزل بمكة فيقول :

أو تذكرين تلهفي ووداع طرفي الذارف

ولكنه يبين ان أهلها المشركين لا زالوا وصمة عار ومن ثم فإنهم ان واصلوا مسيرة الشرك فسيحاربهم المسلمون وإن رجعوا للحق فسيسالمهم المسلمون - يقول بلال معبرا عن هذا كله :

إن طاب للقوم السلام فنحن أمن الخائف
واذا عصوك فإننا حرب لكل مخالف
سنقيم دين الحق بالسيف القوى القاصف

وفي هذا المشهد الأول من الفصل السادس نجد محاورة بين مسلم أتى مع جيش الفتح مع مُشرك من أهل مكة وهذه المحاورة أدت الى إسلام المشرك - يقول هذا المسلم :

وهذا الدين لو تدرى صلاف وهدى من خداع أو ضلال
سيملأ صفحة الدنيا جمالا وما مثل الهداية من جمال
فإن تك يا رفيق تريد خيرا فإن الخير محمود المآل

فيرد عليه المشرك وقد بان اللين في تعبيره معلنا اسلامه :

أراك أسرتني وجعلت همي جديدا لم يكن يخطر ببالي
رفيق الدرب والدين المزكى هداك الله قد أصلحت حالي
أراد الله بالبيداء خيرا بدين محمد دين الكمال

وهكذا تم فتح مكة سلما لا حربا وأضاءت هذه المسرحية لمبارك المغربي من خلال هذه الكلمات أجواء الفتح العطرة ثم آن لبلال ان يستريح

ويتزوج وتجرى محاورة بينه وبين أخ له يقول له محبذا الزواج :

ولكن دين التقى لن يـــتم   بغير الزواج فلا تبخـــل

ويقتنع بلال ويتزوج هند الخولانيـــة من أكرم العقائل وترضى به بعلا لها ويتشرف أبوها بذلك ويقول لبلال :

إليك هند حـــــلالا   من الحـــرائر بكـــرا

ثم نجد المشهد الثالث وقد انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى فيبكيـــه بلال بشعر يقول فيـــه :

بعدك الليـــل طويـــل   مفـــرط الهم ثقيـــــل

ويقول بلال أيضا :

والأسى يملأ قلبـــــى   فاصطبارى مستحيـــــل
غامت الدنيـــا بعيـــنى   وتغشانى الذهـــــول
واعترى الكون انقبـــاض   قد مضى عنه الرســـول
إنه يوم المآســــــى   انه الخطـــب الجليـــل

وتحاول هند فى مشاركتها فى المصاب أن تخفف عنه :

رويدك لا تجزع فانك فائـــز   بقرب رسول الله إن زرته غـــدا
تجلد بلال الخير فالصبر واجب   فما عاش حى فى الأنام مخلـــدا

ويستأذن أبو بكر فى الدخول ويقول لبلال :

قد قُلْتَها بالأمر صـــــا   دقة بلا أدنى ريـــــاء
من كان يعبد احمـــدا   دون الذى سوى السمـــاء

فاللـــه حي لا يمـــوت   له الخلود لـــه البقـــاء
ومحمد هادي الـــورى   مثلي ومثلك للغنـــــاء

ويرجو بلال الخليفة ابا بكر في السماح له بعدم الأذان بعد وفاة الرسول عليـــه السلام :

آليت أن أدع الأذان   وأترك العمر الحـــــداء
إن فهتُ باسمحبيبناالغالي تملكـــني العيـــــاء

فيوافق الخليفة الأول على رجاء بلال قائلا :

هيهات أكرِهُ خيـــــن   يرجى على هذا الرجـــاء
ما زلت صنوي في الجهاد   وساعدي عند البـــلاء

ومن هذا الاستعراض نجد أن الشعر يعبر عن الأفكار والأحـــداث ويحركها الى الأمام من غير عقبات .

الفصل السابع

وهذا الفصل الأخير فيه ثلاثة مشاهد ـ المشهد الأول نجـــد حوارا بين أبي بكر وأسامه بن زيد ـ وكأن أسامه قائدا لجيش المسلمين المتوجهين إلى الشام في أول خلافة ابي بكر يريد ان يأخذ بلالا معه ـ يقول أسامه لأبي بكر :

وبلال فخر للجهـــــاد إذا مشى أو أقبـــــلا
فأذن له والجيش مفتقـــر له ان يرحـــــــــلا

ولكن أبا بكر يبين لأسامه ويبين لبلال أنه لا يستطيع وهو الخليفـــة أن يستغني عن مشورة بلال يقول أبو بكر :

بلال هداك الاله اتئـــد فانك في الصحب رمز الوداد
أريدك في خدمة الظامئين اليك لنشر الهدى والرشاد

فيقول بلال مطيعا ولكنه أراد أن يبين رغبته في الاستشهاد في سبيـــل اللـــه :

لك العز يا قبلة المسلـمين ويا خير من ترتجيه البـلاد
لكم كنت أطمع ان أستميـــت فأشرف ما في الحياة الجهاد
وبي لوعة للشآم الحبيـــب وشوقي له أبدا في ازديـــاد

ثم يستأنف بلال حديثه موضحا أنه يتنازل عن رغبته هذه استجابـــة لرأى أبي بكر :

متى كنت أعصي كريـم النجار وما عشت أحفظ بيض الأيـاد

ثم بعد ان يستجيب بلال لأبي بكر نجد ابا بكر يأذن لأسامه قائـــد

الجيش بالتحرك قائلا :

سر كبير النفس والايمـان تصحبك السلامـه
في أمان الله .. في التـرحال أو عند الاقامـه

ويقول بلال لأسامـه :

أيها القائد يا صـان للجيش زمامـه
صانك الرحمن من شـر العوادى يا أسامـه

وقد حاول أحد الواشين أن يحرك بلالا تحركا فيه نوع من الكيد لأبي بكر ولكن بلالا يرد هذه الوشايـة قائلا :

لو لم أكن أخشى الخليم وعطفـه لعرفت كيف أرد كيف وشاتـه
إن الخليفة لو جهلت مقامـه قد جاء في التنزيل مدح صفاته
من ذا يكون بلال بين رفاقـه وبلال بعض صنيعة وهباتـه

وقد كان المؤلف مبارك المغربي يدرك بمشاعره الانسانية مدى واقع الانسان وضعفه وفي الوقت نفسه يدرك ما يفعله الايمان في النفوس حين يقويها ويشعل حماسها ويرد كيد الكائدين ووشاية الوشاة ــ فضعـف الانسان قد تجلى عند هذا الواشي الذى أراد ان يثير بلالا ضد أبـي بكر وقوة الايمان تجلت عند بلال الذى لم يستجب لهذه الوشاية وقـال مقولته الشافيـة التي بين فيها مقام أبي بكر وكيف ان القرآن الكريم ذكره كما في قوله تعالى " ثاني اثنين إذ هما في الغار " .

ويبدأ المشهد الثاني من هذا الفصل السابع ونعرف منه وفـاة

أبي بكر الصديق وحزن بلال والمسلمين ويعبر بلال عن هذا الحزن بقوله :

أحقا مضى وهو ملء القلوب رفيق الشباب حبيب الحبيب ؟
أحقا جفانا العطوف الكريم وأجدب روض المعالي الخصيب
عرفناه عبر السنين الطوال فكان الصديق الوفي المهيب
لئن كان سمحا رقيق الفؤاد فقد كان كالليث عند الوثوب

وبعد أن ينتهي بلال من انشاده الشجي نجده يطلب من زوجه هند أن تعد له عدة الحرب ليذهب الى الشام مع الجيش المقاتل ولكن هند تحاول منعه بحجة أن شيخوخته لا تسمح له بهذا القتال فيقول بلال :

ياهند شدى الرحالا فقد نويت القتالا
ما زال زندي قويا يسقي العدو الوبالا

ونجد أن هند تمدح زوجها قائلة :

لله شهم أبي رام العلو فنالا

ونأتي الى المشهد الثالث والأخير في نهاية هذا الفصل الختامي فنجد أيضا نهاية بلال ويمهد المؤلف لها برحيله من الشام الى المدينة المنورة بعد انتشار الاسلام في الشام على عهد عمر بن الخطاب الذي تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق — وفي المدينة المنورة يرقد بلال في بيته ينازع سكرات الموت وزوجه هند معه تحاول ان تخفف عنه

يقول بلال :

ياهند أصبحت أهــــذى والموت قد صار أدنـــى
قد كنت سعد حياتــــى وكنت فى الهم عونـــا
لا تجزعى كـــل حـــى مهما أقام سيفـــنى

فتقول هند مستعطفة طالبة له العافيـــة :

عوفيـت يابن ربـــاح ما زلت للديـــن ركنـــا
ماذا رأيت غريبـــــا منا لترحـــل عنـــا

ونجد المؤلف مبارك المغربى فى هذا المشهد الاخير يلخص حيـــاة الجهاد والعبادة التي عاشها بلال فى اسلامه حتى مماته فمثـــلا نجد بلالا يقول لزوجته :

أو تعلمين مروئتي وتهجدى وتمسكي بعقيدتي وشعائـــرى ؟

فتجيبـــه هند قائلـــة :

إني لأعلم بأن سيد دارنـــا ما انفك للإسلام أكرم ناصـــر

ثم يبرئ بلال نفســـه من تهمة حيازته لمال كثير أو تركه ميراثـــا يتنافى مع زهده، يقول بلال :

أتركت مالا للتى أنزلتهـــا قلبى وصنت مقامها فى خاطـرى

فتجيبه هند قائلـــة :

كلا ولكنى ورثت قناعـــة ليست تقاس بمال قوم خاســـر

ويقول بلال متسائـــلا :

أنصرت قوم المصطفى من بعـده   أم كنت بعد العهد غير مناصـر؟

فلا تتمالك هند إلا ان تجيبـه قائلـة :

ما زلت للعهد الكريم حفيظـة   حتى غدوت فخار كل مهاجـر

وهنا يستريح بلال وتطمئن نفسـه ويناجي ربه قائلا :

رباه إن عظمت ذنوبي مالهـا   إلاك يا رب الورى من غافـر
فاجعل لعبدك في الجنان مكانة   يزهى بها عند النبي الطاهـر

وبعد ان تظهر هذا الجزع يهمس بلال في أذنها :

تعالي شريكة روحي الوفيـه   فاني أحس اقتراب المنيـه
لقد حان ياهند يوم الوداع   ولا خير في حب دار دنيـه
رعاك الاله السميـع   فلا تجزعي أو تنوحي عليـه
وحف بك السعد يوم اللقاء   فقد كنت بي في حياتي حفيـه

ثم نجد بلالا في الرمق الاخير ينطلق لسانه قائلا :

هند لا تبكي فما أسعـد   من واجـه ربـه
وهو راض بالمنايـا   يملأ الايمان قلبـه
مات من قبلي رسول اللـه   ما في الموت سبـه
هند قد حان التلاقـي   في غد نلقى الأحبـه .

وهكذا تنتهي قصة بلال هذه النهاية التي تتناسب مع جـلال الموت ورهبته ولا يظهر هذا الجلال إلا من خلال هذا الشعر المعبـر عن حياة انسان مجاهد رفعه الله مكانا عليا حين أخلص في ايمانـه وبذل الجهد والنفس في سبيل عقيدته لم يبال بالتعذيب ولم يبـال

بالسياط ووضع الحجارة على صدره في اليوم القائظ وكان دائما يقول " أحد _ أحد ".

هذه هي مسرحية مبارك المغربي " رجل من أهل الجنة " وقد سار فيها مع بلال في اسلامه خطوة خطوة فقد أرانا أبا بكر وهو يشتريه من أمية بن خلف وكذلك بعد أن واكب حياة المسلمين في ملاقاة شظف العيش قبل الهجرة وكيف تحمل الجوع والعطش معهم في سبيل العقيدة في شعب من شعاب مكة إلى أن أذن الله تعالى بالهجرة فهاجر قبل الرسول عليه السلام وكيف حضر بلال موقعة بدر وكيف تمكن من قتل أمية بن خلف الذى عذبه كثيرا ثم أرانا المؤلف مبارك المغربي بلالا وهو يدخل مكة في يوم الفتح مع الداخلين ومع أَنْ آنَ لبلال ان يستقر بعد انتشار الاسلام تزوج من هند الخولانية التى كانت نعم الزوج المسلمة التى قبلت الزواج من رجل كان في السابق عبدا ولكنها نظرت اليه كما أمرها الاسلام فاختارته كما اختارها وقد أجاد مبارك المغربي في عرض هذا الأمر بصورة تلقائية لا مبالغة فيها فنجد الأمر يأخذ صورته المعتادة فلا يكون الحماس الزائد مثلا عند هند حينما خطبها بلال لأن هذا يخالف الواقع الانساني الذى لم يكن بعد قد نسى الفروق بين الطبقات ولكن حين وُزِن هذا الزواج بميزان الاسلام لم يكن لهند خيار في

أمرها فاختارت تنفيذ المعايير التي أتى بها الاسلام وهى أنه لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، وكان بلال تقيا واختارته هند بهذا الميزان وَأَحْسَنَتْ الاختيار .

وهكذا ظل المؤلف يسير بنا الهوينى مع بلال فمرة نجده مع أبى بكر الخليفة الأول فى المدينة المنورة بعد انتقال الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ومرة بعد وفاة أبى بكر نجد بلالا يجاهد فى الشام فى عهد عمر وبعد أن ينتشر الاسلام هناك يعود بلال إلى المدينة المنورة حيث يموت وهو قرير العين مطمئن النفس .

وتبدو فكرة التطهير واضحة عند المؤلف والتى تحدثنا عنها فى فصل سابق (١) من هذا الكتاب فإن بلالا فى المشهد الأخير ينشد شعرا وهو فى آخر رمق من حياته يبين فيه كيف أن حياته فى الاسلام كانت حلقات متصلة بالعفة والشهامة والمروءة والجهاد وكان هذا المشهد هو الأخير فى مسرحية مبارك المغربى " رجل من أهل الجنة " وقد أثر فى الناظرين لهذه المسرحية أيما تأثير وأبان لهم عظمة الاسلام وقدرته على تحويل الانسان من النقيض الخاطئ الى النقيض الصالح فبلال فى حياته الأولى فى الجاهلية لا حول له ولا قوة ولا رأى ولا سمو ولكن حياته فى الاسلام أصبحت رؤى مجنحة فيها كل معانى الخير والحق والجمال .

---

(١) اقرأ باب (فن المسرحية) فى هذا الكتاب .

وأما الفن في مسرحية " رجل من أهل الجنة " فيبدو في هـذا الجهد الذى بذله المؤلف في إحداث التناسق بين الفصول والمشاهد فهو يتقيد بوحدة الموضوع وقد فرضت عليه أحداث المسرحية ان لا يتقيد بوحدتي الزمان والمكان كما أنه أبدع في جعل الحوار الذى يدور بين بلال وغيره من شخصيات هذه المسرحية ينمو بالحدث نموا (١) ذاتيا لا تصنع فيه ولا اضطراب .

وأما من ناحية اختيار القوالب التى صاغ فيها المؤلف شعره فلم يكن المؤلف بالعاجز عن اختيار أنسب البحور والقوافي التي تظهر فيها أمواج المعاني هادئـة وثورة ـ فكان الشعر مطواعا بين يديه لا يعجزه روى ولا يضعضعه بحر ولا تضعفه قافيـة ـ فالشاعر يمخر خلال كـل الفصول بسفينة شراعها متين ومجدافها ثابت وقائدها متمكن مـدرب . فأمكن له أن يقدم لنا مسرحية تمتعنا بالنظر فيها والاستفادة من مواقفها وتطهير نفوسنا مما يكون قد علق بها من أدران عصر قد كثرت فيـه الشوائب وتضخمت فيه أمواج التحلل .

ومن الممكن لنا أن نعتبر هذه المسرحية مسرحية رائدة بالشعـر الفصيح في عالم المسرح الحديث في السودان قدم لنا فيها شخصيـة

(١) اقرأ فصل " الشخوص وحوارها" في كتاب المؤلف " أثر المقامة فـي نشأة القصة المصرية الحديثـة " .

بلال بن رباح وقد كثرت الكتابة عنه إلا أن المواقف التي نعتز بها في هذه الشخصية الاسلامية الخالدة مواقف لا ينضب معينها أبـــدا فدائما نجد فيها جديدا ومن ثم فإن الكثير مما كتب عن هـــذه الشخصية لا يمنع من التزيد في الكتابة عنها ولا يمل الناظر إليهـا أبدا — وإذا نظرنا الى هذه المسرحية وأحببنا ان نضعها مع نـوع من أنواع المسرحيات التي عرفناها فاننا نضعها مع المسرحيـــات التاريخيـــة — وان كان المؤلف مبارك المغربي قد تقيد تقيدا كاملا بأحداث التاريخ فلم يبعد عنها ولم يجازف باضفاء تخيلات واهمـــة على ما حدث فعلا لبلال — ولو كان هذا على حساب عامل التشويق الذي ينظر اليه المؤلف نظرة تقدير حتى يجذب القارئ — إلا ان المؤلف لم يعبأ به في سبيل الالتزام بالصدق الأخلاقي ومع ذلك فان الصدق الفني قد كان أيضا هو الجناح الثاني الذي طار به المؤلـــــف مبارك المغربي في سماء فن المسرح في السودان .

وقد توفي شاعرنا مبارك المغربي عام ١٩٨٢ بعد رحلة شائقـــة في عالم الأدب وكان له أثر كبير في تقدم الشعر السوداني .

.. ..

" الباب الرابع "

شعر "حسن عبد الحليم اليماني

لم يطبع ديوان شاعرنا المصري حسن عبد الحليم اليماني للآن وقد تمكنت من جمع معظم شعره هنا - وحللت بعض قصائده التي تبين مذهبه في الشعر الذي تأثر في معظمه بشعر مدرسة الديوان - قال حسن اليماني في قصيدة له تحت عنوان " بعض الغرور "

بعض الغرور فلست أول من به أودى الغرور
خلٌّ يعاطيك السموم مزاجها الصافي النمير
دع عنك هذى الكبرياء فإنها مينٌ وزور
فيم التسامي بالمظاهر والسفاسف والقشور
أتدل في صلف الحمار وقد مضى يحكي الهصور

يا أيها المغرور مهلا لست بالرجل الخطير
هذا الحقير إن ازدريت فإنما أنت الحقير
هو سيد ولو أنه الفلاح أو ذاك الأجير
هو سيد ولو أنه قد ضاق بالعيش المرير
ربّ المزارع والمصانع منتج الخير الكثير
يجري النضار على يديه ويزدهي الوادي النضير
يضفي عليك نعيمه يثري فترفل في الحرير
ركن الكنانة ما ادلهمّ الخطب أوجلت أمور

يا طالما عرك الزمان وجالد الحظ الضرير

لا تلقه جهما بوجه عابسٍ أو قمطرير

يا ربما ربأ ابتسام صدع محزون كسير

نعم حين يطلع المطلع على مثل هذا الشعر يشعر بمدى صدقه ويحس بالتجاوب العميق معه فهذا الموظف الذى يتعالى على الفلاح كأنه خلق من المسك والعنبر وكأن الفلاح خلق من الطين الأكدر هذه الصورة بما فيها من التناقض بين اللونين جعلتك تشعر بقيمة الكلمة وخاصة إذا كانت معبرة رشيقة فإنها توأم الوجدان يتفاعل معها وبها - أنظر الى تعبير الشاعر حسن اليمانى .

دع عنك هذى الكبرياء فإنها مَيْنٌ وزور

فيم التسامى بالمظاهر والسفاسف والقشور

ثم أنظر اليه فى صورة أخرى يقول عن الفلاح الذى قد تزدريه عيون أمثال هذا المتعجرف :-

ركن الكنانة ما ادلهم الخطب أو جلت أمور

يا طالما عرك الزمانِ وجالد الحظ الضرير

فهذا الفلاح هو الذى على يديه تجرى الأموال إلى طبقات أخرى تعتبر نفسها هى الأعلى والأكثر فائدة بينما الفلاح هو الأساس لكل هذه الخيرات التى تتمتع بها كل الطبقات - ومن ثم فهو يختم هذه القصيدة موجها كلامه الى المتكبِّر طالبا منه الكفَّ عن هذا

الكبرياء أو ذلك الغرور وأن يستبدل به تواضعا أو ابتسامة مضيئة يخفف بها عناء الأشقياء الكادحين :-

لا تلقه جهما بوجه عابس أو قمطرير

ياربما ريا ابتسام صدع محزون كسير

هذه القصيدة قيلت منذ خمسين عاما ولا زالت مؤثرة فى نفوس قارئيها كأنها كتبت اليوم وذلك لأن موضوعها حى متكرر وموجود وكذلك فان الشاعر أحسن التعبير عن الخلجات النفسية التى يحس بها الرائى العادى ازاء من يراه متكبرا على خلق الله - ولو أن الشاعر قد عاش من جديد فى أيامنا الحالية وعبر عن هذه التجربة لما أمكن أن يأتى بأحسن من هذا الذى أتى به .

وفى قصيدة أخرى لنفس الشاعر نجده يخلد شهيدا ضحى بروحه فى سبيل وطنه - هذا الشهيد هو مصطفى ماهر الذى (كان أول من سقى أرض الوطن بدمه فى حوادث ثورة شهر مارس سنة ١٩١٩ فخط بذوب روحه عنوان كتاب نهضتنا الفتية المباركة) كما كتب الشاعر بخط يده . يقول الشاعر عن هذا الشهيد سنة ١٩٣٦ أى بعد سبعة عشر عاما من ذكرى استشهاده :-

فاض منك المعين قدسا وطهرا : ياشهيدا رأى المذلة كفرا

هذا الاستهلال الذى استهل به الشاعر قصيدته استهلال موفق إذ فيه تبيان للطهر الذى كان رداء هذا الشهيد والشجاعة التى كانت من

أبرز صفاته فمن هنا كان هذا الشهيد نبع القداسة والحماسة والحب للوطن ثم نجد الشاعر يقول: -

مشرع يملأ الحياة يقينا : ويحيل الجليد كالنار حرا
وردته النفوس وهي ظماء : فسقاها الورود شهدا وخمرا
فاض منك المعين للقفر خصبا : ولزهر الرياض عطرا ونشرا
فاض منك المعين لليل نيرا : فإذا الليل قد تراجع فجرا
وتهاوى ظلامه وتولى : وتسامى الضياء نجما وبدرا

فالذى يقصده الشاعر بكلمة " مشرع " التى تغيض بالايمان والتى تغير من طبيعة الاشياء فتحيل الثلج نارا واذا قدمت اليه النفوس الظامئه الأبية نهلت منه العسل والخمر م لعل هذا المشرع هو عين الكرامة والعزه والشرف - وشاعرنا يجعل الشهيد مصطفى ماهر نبعا يمد هذا المشرع بما يحيل الصحراء الجرداء الى أرض خصبة ويعطى الأزاهير عبقها كذلك فإن الشهيد كما أشبه هذه المحسوسات فإنه أشبه أيضا هذه المعانى المجردة المتمثلة فى النور الذى يبدد ظلام الليل والضياء الذى يمزق حلكته .

وإن تكرار ألفاظ " فاض منك المعين " ثلاث مرات فى خمسة أبيات لم يسبب الملل الذى قد يظن من هذا التكرار وذلك لأن الشاعر وجه هذه الألفاظ فى كل بيت إلى وجهة مختلفة ففى البيت الأول وجدنا أن المعين هو نبع القدس والطهارة لا يرضى بالدنس وفى البيت الثانى

وجدنا المعين نبع الخصوبة والريح الطيب والعبق وفى البيت الثالث كان المعين هو نبع النور والضياء - ثم ننتقل مع الشاعر الى بقية الأبيات التي يمجد فيها ذكرى الشهيد فيقول :-

إن يحجوا اليك في كل عام : حج قلبى اليك فى اليوم عشرا

ياضريحا حوى الشهيد ولحدا : ضم ملء الدنى جلالاً وفخرا

رفت الأمنيات تقبس روحا : من خلود حويت كنزا وذخرا

أنت رمز لكل قلب ومعنى : كل قلب غدا لأهلك قبرا

لكأن الهواء حولك ند : وكأن الرغام قد صيغ تبرا

عجبا كللوك بالورد جهلا : أنت يامن ملأت دنياك عطرا

وفى هذه الأبيات نجد الشاعر حسن اليمانى يتحدث عن هذا الشهيد الذى بلغ من محبته له أنه يزوره فى كل يوم عشر مرات وإن كان غيره يذهب إلى قبره فى العام مرة واحدة - وذلك لأن هذا اللحد لا يضم رفات انسان عادى بل إنه يضم بين جنباته من كان يعادل العالم كله عظمة وجلالا ومن كان كالكنز المخبوء والذخر لكل من أراد أن يتعلم الوطنية والفداء لتخليص وطنه .

ولكن أفلت من الشاعر القياد لحسن التعبير حين قال :

أنت رمز لكل قلب ومعنى : كل قلب غدا لأهلك قبرا

مامعنى الشطر الثانى فى هذا البيت ؟ - هل يطمئن أهل الشهيد

بعد استشهاده أنهم سيجدون فى كل بيت من بيوت الوطنيين بيتهم وهل سيجدون فى المصريين جميعا أهليهم يواسونهم ويقفون فى جانبهم؟ . وهل كلمة قبر هاهنا مناسبة لتحل محل الأهل والبيت؟ لاليست مناسبة على الاطلاق وكان الأحرى بالشاعر أن يأتى بكلمة أخرى متكافئة غير كلمة القبر ــ لعل القافية هى التى أجبرته على استخدام هذه الكلمة دون غيرها .

ثم مضى الشاعر فى تصوير الهواء الذى يلف قبر الشهيد بأنه معبّق بطيب الند والعود حتى التراب الذى يرقد فيه الشهيد هو كالتبر والذهب ـ ولكن البيت الأخير تفوق فيه الشاعر على نفسه حين تعجب من هؤلاء الذين أتوا بالورود ليعطروا الجو حوله وكأنهم تناسوا أن هذا الشهيد كان عطرا للأجواء كلها كما يقول :ـ

عجبا كلّلوك بالورد جهلا : أنت يامن ملأت دنياك عطرا

ويستمر الشاعر فى ثنائه على الشهيد : وكيف أنه ضحى بروحه وهو شاب وهذه التضحية لاتستغرب من شاب عاش مع شعب مناضل والشاعر يكرر أيضا فى هذه الفقرة كلمات "فاض منك المعين" ـ يقول :ـ

فاض منك المعين للنيل عذبا : فانتشى موجُهُ وصفق بشرا
رُبَّ غمر سقى البلاد فلم : يُرْوِ وأذكى الصدى وأنبت شرا
فى دماء الشباب روح ورِيٌّ : ودماء الشباب تنضح سحرا
هى سر الخلود يكمن حيا : ووقود الحياة مدا وجزرا

ذل شعب مضى بغير طماح : فى ركاب الحياة كلا وغـــــرا
سنة العيش والوجود نضال : فالعـــلا للقوى دنيا وأخــــرى
قد نمانا الإله للحق والمجد : فكيف الهوان نرضاه أمـــــرا
ليس فى شرعة السماء هوان : ساء هذا الهوان ياقوم نكرا

والنِّيل فى الأبيات السابقة رقص فرحا وصفق طربًا لابن النيل الخالد الذى ضحى بحياته فى سبيل بلاده - وهناك من يفقدون حياتهم بلا طائل لأنهم بلا خبرة فلا تستفيد البلاد منهم شيئا بل قد يكون قتل هؤلاء سببا لزيادة شقاء بلادهم وإن الشاب الشهيد مصطفى ماهر قدم حياته لبلاده قربانا بفائدة وهذه الفائدة هى استقلال مصر التى ارتوت بدمه الذى أمدها بالحياة ثم نجد الشاعر يبين أن الشعب إذا عاش من غير هدف عاش ضعيفا وجاهلا وإن الحياة لا تتقدم بالشعوب إلا إذا كانت حياة نضال وكفاح فالنضال هو الذى يبنى المجد للوطن - وقد خلقنا الله أعزة فلماذا نرغى بالذل والهوان وإن الاسلام يحرم على معتنقيه أن يذلوا ويهانوا فالهوان منكر يجب أن يزول - وفى الفقرة السابقة وجدنا الشاعر ينطلق لسانه بالحكمة التى تأتى شافية فى مثل قوله :-

سنة العيش والوجود نضال : فالعلا للقوى دنيا وأخــــرى

فكأنه يبين أن المجد والسعادة فى الدنيا والأخرى لن يحوزهمـــا

إلا القوى قوة الروح وقوى المادة .

ثم يستطرد الشاعر فى الفقرة الأخرى والتى تضم سبعة أبيات فى تمجيد الشاب الشهيد يقول حسن اليمانى :-

قد حملت اللواء نداً فتيا : لاترى فى اللقاء ضيقا وعسرا
حين نادى الفداء رحت سخيا : باذلا للطعان والنار صدرا
قلت باسم الإله أبدأ نهجا : وأبيع الحياة للخلد مهرا
وافتديت الصفوف والموتُ جهم : مدّ للآمنين نابا وظفرا
أى نبل وأى طهر وقدس : حدثى ياحياة دهرا فدهرا
فاض منك المعين معنى ووحيا : يلهم القائلين نثرا وشعرا
ودّ شعرى لو صيّر الغاب أقلاما وهذى السماء والأرض سِفرا

فقد تقدم الشهيد وحمل العلم أمام الصفوف غير متوان وغير متعثر ، مندفعا بجنانه باذلا روحه وهذا البذل للروح إنما هو نهج كريم يجب أن يحتذيه الشباب حتى يدافعوا عن أمن بلادهم واستقلالها فلا يقترب الفزع منها كما أن هذه التضحية يتمثل فيها الطهر والنقاء والصفاء مما يجعل لسان الحياة يشيد على مر الأزمان بهذه التضحية التى قدمها الشهيد الشاب مهرا لوطنه الغالى وإن تعبير الموت الجهم " تعبير سخى بالمعانى فى قوله .

وافتديتَ الصفوف و الموت جهم : مدّ للآمنين نابا وظفرا

وهكذا إذا تحدثت الأجيال عن هذا الشهيد الرائد فهو حديث

غير ممل لأنه عن فتى مناضل كان جهاده محببًا شرًا للنثر والشعر على السواء فلو امتلأت السموات والأرض بالسطور المكتوبة بالأقلام التى تمدها الغابات ماوسعت السموات والأرض هذه السيرة الزكية العطرة .

وهذا النشيد فيه من الإيحاءات مايدل على فطرة الشاعر الشعرية فى معرفة قدرات الشباب الفعالة لفداء الأوطان ، وتحقيق الأمان وذلك لأن الشباب أقدر من غيرهم فى الدفاع بالأرواح عن الأرض والعرض لا يبالون فى سبيل تحقيق هدفهم بالعوائق حتى ولو كانت مدافع وبنادق وجيوشا وكان مصطفى ماهر الشهيد موضوع هذه القصيدة هو الأنموذج الرائع لما كان عليه شباب مصر المتحمس فى ثورة ١٩١٩ م

ويعادل القصيدة السابقة قصيدة أخرى نشرت للشاعر فى يناير سنة ١٩٣٦ موضوعها أيضا " الشباب " شباب مصر الذى كان قد افترق أحزابا ثم عاد وائتلف وانتظم صفا واحدا وراء رأى العقلاء يقول شاعرنا حسن اليمانى :-

شَابَ السلافَ العذب ريق سمام : وعدا الخلاف على دعاة وئام
والروض طرّزه الجمال بدائعا : شهد الغراب ينوح بين حمام
ياويح قلبى مايطالع باسما : إلا يرنقه الأسى بقتام

فهذا الاستهلال فى أبيات ثلاثة يحمل معنى واحدًا وهو الألم

الفرقة واختلاف الرأى - وقد قال إن الشراب اللذيذ قد عكره السم وإن أهل الاتفاق قد اختلفوا وإنه بدلا من أن نسمع هديل الحمام سمعنا تغيب الغراب وهكذا ران الضباب المظلم على الإشراق المضيء .

ثم يتحدث الشاعر عن نفسه فى أبيات أربعة أخرى مصورا ، نفسه إزاء هذا الحدث الجلل حدث الانقسام وكيف أنه كاد يسكت ولا ينطق يقول شاعرنا حسن اليمانى :

أنا شاعر غنى الشباب قصيدة : سحرا وأنشده رقيق بغام
أذكيت من نار الجهاد براعى : وسللت فى يوم النضال حسامى
وأذبت يوم البين مهجة ثاكل : إثر الشهيد وذبت فى الآلام
واليوم يخذلنى القريض وعهده : طوع اليراعة دافق الأنغام
أنا للشباب وفيه أبدع قائلا : وهو المعين يفيض بالإلهام

ففى البيت الأول من الفقرة السابقة يبين الشاعر عن نفسه حين قال إن شعره كالسحر وإن صوته جميل كصوت الظبيه ثم إنه قد اشترك فى النضال بسلاحين سلاح اللسان وسلاح السنان - ولعل استعماله لسلاح اللسان كان أظهر حين بين فى البيت الثالث ـــــه ـــهأنه بشعرة أذاب روح الأم التى استشهد ابنها كذلك قد ذاب هو ـــ أيضا حين عبر عما اعتصره من ألم لفقد هذا المحب للوطن الذائد عنه بالمهجة والروح - واليوم بعد أن دب الخلاف فى الصفوف وجد

شاعرنا القريض قد خذله ولم يعد أمره طوعا له - ولكن قد يعود الشعر مرة أخرى يفيض به لسانه حين يتحدث الشباب الذى هو مصدر الهام الشاعر . أنظر الى الشاعر كيف يتطامن بك ويصل عبر فقرات منظمة الى وجدانك ففى أول القصيدة يحدثنا عن هذه الفرقة القاتلة ثم يتحدث عن وقع هذه الفرقة على نفسه وفى القسم الثالث نجد شاعرنا يتحدث عن استجابة الشباب لصوت الوئام الذى أدى الى التكامل والتراضى والاجتماع - يقول الشاعر فى أبيات أربعة متحدثا عن هذه الاستجابة :-

قام الشباب فيالقومة ماجد : عاف الهوان وعاف عيش ظلام
وسعى فكان النصر بعض جنوده : ورمى فكان الموت ريش سهام
نادى على حين القلوب شتيتة : جمع الخصام بها وأى خصام
فإذا النداء يضم شارد أمة : واذا النداء سرى بكل سلام

فالشباب المصرى فى قومته كان يسعى الى تحقيق المجد وازالة الذلة وتبديد الظلام . وقد تحقق له النصر وقضى على الفرقة والشتات فتوحدت القلوب من جديد والتأم شمل البعيد والقريب وتحقق السلام وكان هذا كله من ثمار الاتحاد والذى بين الشاعر فوائده فى الفقرة التى يقول فيها :-

أشباب مصر لقد تكامل جمعنا : صفا يعز على سهام الرامى
إنا لتعوزنا المشورة هاديا : فالرأى فوق الرمح والصمصام
والليث أحوج مايكون مهاجما : قبل اللقاء لفرصة استجمام

فدع الذى ألف الظلام مباءة : ومضى على الدنيا بغير زمام
حتام هذا الخلف يتعب بيتنا : وإلام يقذفنا بحر ضرام
وإلام يخترم الصفوف موسوس : غر بضاعته من الأوهام

فيد الجماعة أقوى على دفع العدو وهذه الوحدة إنما اتفق عليها أهل الشورى وتحقق أن هذا الرأى الممثل فى السير وراء الوحدة أقوم من قوة السلاح . والجندى لابد له قبل أن يهاجم عدوه من فترة استجماع لقوته يشحذ فيها سلاحه ويعيد ترتيب خطته . ولابد للشباب من عدم الاستجابة لمن يشبهون الخفافيش ولا يعيشون إلا فى الظلام ولا يستمعون لصوت العقل الذى يعقل تهورًا قد يرديهم ويبدد جهدهم . ثم نجد شاعرنا يقول :-

حتام هذا الخلف يتعب بيتنا : وإلام يقذفنا بحر ضرام

فهو يذكرنا بأحمد شوقى أمير الشعراء حين يقول :

إلام الخلف بينكم إلاما : وهذه الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكم لبعض : وتبدون العداوة والخصاما

ولكن شاعرنا حسن اليمانى يصل الى هدفه مباشرة فيبين أن الاختلاف يشتت أفراد الأسرة الواحدة التى تعيش فى بيت واحد لأن الفرقة كالنار التى ترمى الوجوه بشررها ولن يسمح الشباب للجاهل بأن ... صفوف المتوحدين أو أن يغريهم بالأوهام والسير وراء الأحلام

التى لا طائل وراءها .

ويختم الشاعر قصيدته ببيتين قويين يتحدث فيهما كشاب مع الشباب حين يجد الجد ويفرض الموقف أن يكون الصراع صراعا داميا فهو لا يجبن ولا يتقهقر بل لا بد وأن يغرس الرمح فى قلب العدو الظالم فيرتوى من دمه يقول الشاعر :-

إنا إذا جد اللقاء فوارس : نمضى وأطراف السنان ظوامى

حتى اذا اعتكر الطعان وأسبلت : ظلم الوغى رجعت وهن دوامى

وهكذا ينهى الشاعر حسن اليمانى هذه القصيدة بهذين البيتين المعبرين اللذين يتلاءمان مع قوة الشباب وحماسته .

وقال حسن عبد الحليم اليمانى تحت عنوان " بين ماض و حاضر"

فى الجهاد (سبتمبر سنة ١٩٣٤)

أقفرت يامغناى من بعدى : أتراك تذكر سالف العهد ؟

أجرى الزمان عليك شرعته : فأحال منك معالم الود

وسعت بك الأحزان معولة : ومشت بساحتك آية الصد

أضفى عليك الحزن حلته : ياسر ما يخفيه من رفد

مغناى كم لك صور خلدت : بالقلب لا تمحى على البعد

هى عدتى فى الهم يكربنى : وملاذ أفكارى من السهد

قد كان ربعك للشباب حمى : ياطيبه للحب من مهد

أيام فيك العيش مزدهر : وجناك من خمر ومن شهد
والدهر غافٍ عن ملاعب ليّ : بالغيد حافلةٍ وبالمرد
من كل غانية مُدلّلةٍ : ريا المعاطف حلوة القد
وفتى صفتْ في السلم شيمته : ولدى الشدائد قُدّ من صلد

مغناى : حال الدهر واندثرت : منك المعالم فهى لا تبدى
ياطول ما سائلتها عبثا : ووقفت أذكرها الهوى جهدى
ماوقفتى ؟ أتعيد سالفة : للعهد ؟ بل ستزيد من وجدى

وقال تحت عنوان (عناد الحياة) الجهاد ٢٥ من سبتمبر سنة ١٩٣٤

حرمته الحياة عذب مُناه : فمضى مثقلا وراح شقيا
شفه الهم والسقام براه : أكذا يدرك المشيب فتيا ؟

كلّما خط في الحياة سطورا : عصف الدهر بالسطور وأودى
أنكرته الحياة إفكا وزورا : وجفته الخطوط بدءًا وعودا

صحب الفجر يجتلى أضواءه : فإذا الطل دمعه المهراق
ومضى يُسْمِع البكور غناءه : فإذا الكون دامع الأحداق
نشد الأمن فى ربوع حياته : وشدا لحنه يريد سلاما

فأبى الدهر أن يرد ظُباته : أو تُروِّى للموت منه أواما

أكذا يحطم الأسى قيثاره ؟ : ويحيل الألحان فيها بكاء
عكس الدهر ساخرا أوطاره : وأصار الربيع منها شتاء

وقال تحت عنوان (لقاء الخميلة) فى الأسبوع ٢٦ سبتمبر ١٩٣٤

ياطيبها من خميله : وحسنه من لقاء
بين الغصون الظليله : كانت لحبى الثواء

مابين ورد الخدود : وبين خمر الشفاه
وبين دف وعود : طعمت معنى الحياه

ترنو الزهور إلينا : فى رقة وحنان
ويغمض الدهر عينا : عنا ويغفو الزمان

فى قدس هذا النعيم : كم انتشت أرواح
يزجى إليها النسيم : سكرا بغير الراح

كأنها العيش دنيا : من المنى والخيال
أو أنه كان رؤيا : أدنت عزيز المنال
أواه ياعيشُ صفوك : نهبُ الفنا والزوال

وآه يانفس دهرك : لا يستقر بحال

إلىّ ياذكريات : أعيش فيك هنيا
وصوِّرى مافات : أهفو اليه نجيا

وقال تحت عنوان (ابتسامة مشرقة) "الأسبوع" ٣ من أكتوبر ١٩٣٤

زين العقيقُ بخالص الدر : وزها الجمال بباسم الثغر
شفتان قد حوتا وما حوتا : غير الفتون الجامح المغرى
أأشعة "الراديوم" أودِعَتَا : دق الشعاع وعم اذ يسرى

إشراقة كانت لعالمها : روح الحياة ومبعث السحر
لو كان ما أسموه آلهة : حقا - لكانت ربة البشر

عبْقُ الربيع وحسن فرنده : وسنا الضياء وروعة الفجر
يا وردة قد توجت فننا : رخص القناة مضوّع النشر
عذب المنى جمعت على فمها : جمع الرحيق بأكؤس الزهر.

وقال تحت عنوان تهنئة الشعر للطبيب الشاعر
الدكتور عبد الرؤوف حسن (لترقيته مديرا لمصحة فؤاد)
"المقطم" ١٩ من أكتوبر ١٩٣٤

صداحة الروض هل رددت أوزانى : وهل حكيت صدى نفسى وألحانى ؟
بى كل مابك من شدو ومن طرب : تشابه الحال نحن اليوم صنوان

ياحلوة الجرس : لم أطرب لغانية : تزجى السرور وتطفى لوعة العانى
ولم يهز فؤادى شدو جارية : مابين ترجيع مزمار وعيدان
لكن ما هز نفسى أن أرى وطنى : مبارك النهت موسوما باحسان
يزهى بفتيته غرا إذا انتسبوا : من صلب فرعون أو من نسل قحطان
أوفوا على النجم فى عليائه هما : تزرى بإعجاز أعجام ويونان
عبد الرءوف لنا من بينهم مثل : أبدى ـــــهلنا ألف برهان وبرهان
سعت إليه المعالى جد مسرعة : كما استحث نمير سير ظمآن
حفت به حيث لا ترضى به بدلا : إن المعالى لم تخلق لكسلان
جلد العزيمة لا تغريه بارقة : كأنما قدها من صلد صوان

فى كفه الحد للآلام تنزعها : كم فرجت هم أجسام وأبدان
يمشى بها السحر ماإن خاب راعيها : يوما ولا عزها تبديد أحزان
عنت لها واستجمت كل شاردة : لله طالعها من كف فنان
أين ابن سينا يرى نعمى نتائجها : وأين بقراط بل أين ابن حيان ؟
ياعترة العلم : هذا شيخ عذرتها : كم بز آلاف أعلام وأخدان
إن قيل سبق تجلى فى طليعته : حمال ألوية سباق فرسان .

ياحادى الطب إن عزته معجمة : أو عد تحقيقها أحلام يقظان
وشاعر النيل فنانا قصائده : متينة السبك فى تجويد حسان

مشى البيان بها تترى بدائعه : كأنها أودعت آيات قرآن

مخلد الدهر لا يودى الزمان بها : ما خلد الدهر أقوالا لسحبان

أزجى اليك تهانى الشعر يعمرها : يقين نفسى واخلاص وايمانى

وقال تحت عنوان (حظى) "الجهاد" ٢٢ من أكتوبر ١٩٣٤ (

وضح الشك وغاب : فاطرحى زيف النقاب

قد علمت اليوم حظى : فيك يادنيا العذاب

وعلمت اليوم ما أخفيته طى الكتاب

وعلمت الصاب ممزوجا بمعسول الرضاب

وعلمت الموت أحسوه بطعم مستطاب

فيم هذا الزخرف الخلاب أو هذا السراب

جذب الأنفس يدميها على حد الصعاب

غرها برق خداع : من أمانيه الكذاب

تمعن السير طلابا : والمنايا فى طلاب

أين يادنياى آمالى وأحلامى العذاب؟

أينت الألحان (١) تزجيها ترانيم الشباب؟

ذهبت لم يبق منها : غير تنعاب الغراب

أين خلان شبابى : ورفاقى والصحاب؟

صوح الزهر بروضى : فإذا الروض يباب

واذا صفو الليالى : كله رهن انتهاب

---

(١) أينت بمعنى أين أداة استفهام واقتضت ضرورة الشعر زيادة حرف التاء

وقال تحت عنوان (ليالي رمضان)
"الجهاد" ١٧ من ديسمبر ١٩٣٤

يالليلاتك الحسان تولت : أين راحت وأين راح سناها ؟
أيها الدهر قد رفعت ستارا : عن شيلاتها فأين بهاها ؟
أين فيها الشباب ينزل سهلا : من حياة طابت وطاب جناها ؟
ظن نجم السماء في راحتيه : وبنات المنى مباحا أباح حماها
أين فيها الشباب يرتع لهوا : يالدنيا الشباب ما أحلاها
يتصابى من الحياة طهورا : لم يدنسه زيفها وخناها
كلما ثار بالقلوب أوام : أترع الكأس لذة وسقاها
يالليلاتك الحسان تولت : غير ذكرى وغير رجع صداها
كلما عدت هجتها تتمشى : كحميا الشراب في مسراها
عشت في ظلها أدافع حرا : من حياة شبت على لظاها
أترى تذكر المليحة عهدا : لفؤاد لم يله عن ذكراها ؟
أم أجد الزمان حالا بحال : فتناست ورث حبل هواها ؟

وقال تحت عنوان (نداء القلب) الجهاد ٢١ من ديسمبر ١٩٣٤

يامالىء العين بالسرور : ومفعم القلب بالحياة
وما نجى نشوة الرحيق : من خمرة الخد والشفاه
دع عنك ما ينقل العذول : وخل ماتحمل الوشاه
ووافني ساعة الغروب : والروض مجلوة حلاه

الزهر قد هزه النسيم : نشوان والطيب من شذاه
يود لو فارق الجذور : لاختال فى روضه وتاه
كأنه الناشئ الوليد : تطلب السير واشتهاه
فقام لا يملك البراح : مذبذبا راقص القناه
ما أبدع الزورق الصغير : ينساب فى خفة القطاه
كأنه الخاطر الجميل : قد جال فى صفحة المياه
يزجيه من فتية الصعيد : جذلان لا يعرف الشكاه
من معشر علموا الزمان : وشاركوا النجم فى علاه
يحدوه بالناعم الحنون : ينساب من [illegible] اللهاه
كأنهما غارب الشعـ [illegible] : والنيل غرقان فى سناه
صهباء [illegible] القوام : تشع فى أكؤس السقاه

تعال فالروض يزدهيه : أن يخطر الحسن فى رباه
تعال ياساحر الوجود : ومجمع السحر مقلتاه
ياماليء العين بالسرور : [illegible] القلب بالحياه

وقال تحت عنوان (وحى المؤتمر) الذى عقد فى عيد الفطر
أول شوال سنة ١٣٥٣هـ)
" مهداه الى الأستاذ الكبير عباس العقاد "
"الوادى" ٣٠ من يناير ١٩٣٥

نالها من فم القدر : رُقْيةَ النصر والظفر

فانبرى يدفع العدا : قوة تجهل الخطر
إنه الوفد نفحة : بثها خالق البشر
فى قلوب تآلفت : لم يشب حبها وطر
خير مصرٍ أحالها : عزمةً تسحق الحجر

وامضٌ مزق الدجى : عم بالنور وانتشر
أطلع الوفد هاديا : يظهر الحق ما ظهر
انها الوفد أمة : ضمها الله فى نفر
قادها نحو بعثها : سعدها (١) الخالد الأبر

مصر يا منبت الهدى : كلنا ماجد وحُر
للعلا قد تَنَوَّتنا : باسْمِنا الدهرُ يأتمر
سجل الأمسُ صفحةً : عاطرة المرجع والخبر
من غوعيس ساعدا : فاحتوى الشمس والقمر
ذلَّلَ الهام موطئا : جيشُه اللاجب المجَر
أورد الشعب منهلا : سلسل الريق لا يمر (٢)

---

(١) هو سعد زغلول زعيم الوفد توفى سنة ١٩٢٧
(٢) ليس مُرًّا

عافها عذبة الجنـا : واشتهى غيره السوَرْ
عاش نشوانَ حقبة : أيقظت فتنة الغِيَر

قَلّبَ الدهر فى غَدِيرٍ : صولة الليث والنمر
فتية النيل ان رموا : سددوا السهم فاستقر
يومنا ساء ذكره : حافلا بالمنى أغر
قد دعا الجند مصطفى(١) : فاستجابت له الزمر
فاسأل الركب هل حوى : غيرَ نيرانَ تستعر؟
هل حوى غير أنفس : تعلم الذل من سقر؟
لامس البعث روحها : سوريا كَامِنَ الشرر
كم أقامت على قذى : فانجلى الهم وانحسر
أين من راح سادرا؟ : يفسد الريف والحضر
قد غدا مضغة الورى : لغه العار وانتشر
ليس من يقرع الصفا : كالذى يعرك المدرْ

مصطفى فارس الوفى : والفتى إن دعا خطر
قاد للنور شعبه : صادق الخطو والنظر
أليس العيد طابعا : رائع الهدى والأثر

---

(١) مصطفى النحاس الذى تولى زعامة الوفد بعد سعد زغلول توفى ١٩٦٥

أسمع الكون هاتفا : جلجل الكون إذ هدر
موقفٌ كان للعلا : فى حمى الغيب مستتر
بدَّدَ الشكَّ نوره : يخرص الكاذب الأشر

دولة الشعر هزها : شيخها ينثر الدرر
فَصَّلَ عباس مقولا : دونه الصارم الذكر
شاعر الحق والهدى : جالد البغى وانتصر
إن دعا حرك القنا : أو شَدَا حرك الوتر

وقال تحت عنوان (زهرة ذاوية) ...

هذه الزهرة ما أذبلها : ورماها عامدا مقتلها ؟
لهفتا نفسى على نضرتها : أى عاد ظالم جَنْدَلها ؟
نَبْتُ قلبى طالما دللها : بشغاف منه قد أنزلها :

دلف القلب إليها طربا : ينشد المتعة فى جنتها
ذات صبح والندى قد سكبا : دمعة المنثور فى ساحتها
يرسل الفجر شعاعا خصبا : يبعث الأزهار من غفوتها

ويح قلبى مادها زهرته ؟ : حُطمت عودا ويبست فى الثرى

وبكى قلبي أسى فتنتة : غالها عادي الردى . وانفطرا

وقال تحت عنوان ... (لحسن الحب) ...

يارحيق الندى المصفّى الشهيّ
وشهادا من منبع قدسي
وسلافا مزاجها بابلي
فيك برد للظامئين وريّ

يارحيق الندى بعثت الزهور
من سوات الثرى وجافي الصخور
ولقاح الدنى وسر الدهور
أنت روح من الإله ونور

يا شهادا حفظت فينا الحياه
وتعهدت بالغذاء النواة
فازدهى الكون سهلة وربـاه
وصفا مشربا وطاب جناه

ياسلافا من لذة وشفاء
كم أسوت الهموم والأدواء

أنت وحى من فتنة وبهاء
ألهم النفس شعرها والغناء

أيها الحب فى ركابك سرنا
إن بكينا شَدَا الورى وتغنى
قد أذبنا الفؤاد نظما ومعنى
فَفَنَيْنَا وخُلِّد الحب لحنا ؟

وقال تحت عنوان ... (ألا ليت) ...

روز اليوسف ٩ من مايو سنة ١٩٣٥

ألا ليت أيامنا الماضيات : تعود . ولكنها لن تعود
أطالع فيها جمال الرؤى : وأنشق منها عبير الوجود
وألمس فيها حديث الصبا : ونجوى العيون وسحر الخدود
ودنيا الشباب ولحن الهوى : توقعه خطرات القدود
يؤرق سهدى رفيف المنى : ويحطم قلبى ادكار العهود

ألا ليت همّى الذى شفّنى : يروح ويؤذننى بالرحيل

أراق شبابىَ فى فدفدٍ :وأورث عودى الغنا والذبول

جفانى الوجود - فما عقنى : ضلالا وبعدا له من خليل
وليت فؤادى لم يغوه : نداءُ الجهال ولحنُ الهديل
وزهر يميس على غصنه : وظبى أغرّ وطرف كحيل

ألا ليت - لكن كفانا مُنَى : تروح وتغدو بنا ساخره
مللت الحياة وأيامها : وفاتى حنينى الى الآخره
كفى مالقيت وما نابنى : وما روعتنى به الساحرة
نهلت - على فرة - حلوها : فلما صحت مرّت الغادره
وأقلتنى مُكْرها - ساعة : مضت - فاستدارت بى الدائرة

وقال تحت عنوان ... (عندما سلم) .. "روزليوسف" د ٢ من مايو سنة ١٩٣٥

عندما سلم صُبْحاً ناظراها : والتقى الروحان فى ومض الشعاع
قلت يا دنيا ى مرحى
طبت للآمال صرحا
وانتشت روحى وغنت
بلّغتُ ما قد تمنّت
عندما سلم صبحا ناظراها : والتقى الروحان فى ومض الشعاع

أى حسن قد حوته مقلتاها : أى سحر شاع فى الدنيا وذاع؟

أرسل الأصداء لحنا

وأحال الكون مغنى

رف أنداء وطيبا

واكتسى ثوبا قشيبا

عندما سلم صبحا ناظراها : والتقى الروحان فى ومض الشعاع

يا لأيام تغنت فى هواها : بين يأس شف قلبى والتياع

تغمر الأحزانُ روحى

لج بى همى ونوحى .

يالها من ذكريات

قد تولّت راحلات؟

عندما سلم صبحا ناظراها : والتقى الروحان فى ومض الشعاع .

وقال تحت عنوان ... (أصدقاء الزمان) ... المقطم ١١ من يونيو سنة ١٩٣٥ - وقدم لقصيدته هذه بالسبب الذى دعاه لتأليفها :-

• أحسن الصديق الشاعر الأستاذ طاهر أبو فاشا من صاحب له

ميلا مع الزمن بعد أن بذل له من ذات نفسه ما لا طمع وراءه .

فأرسلها على صفحة الأهرام الأدبية نفثة رائعة صور فيها بها

أمره وأمر ذلك الصديق العاق ـ تجاوبت لها فى نفسى أصداء حركت منها كامنا ـ وأيقظت خامدا •

هجتَ من كامن الشجون خفيا : يا أخا الشعر وابتعثت عصيا
الصحاب الصحاب خانوا عهودى : وتناسوا عذب الوداد شهيا
ان يكن صاحب جفاك مع الدهر : فقد ألقَوا الزمان طيا
أورثونى على الهموم هموما : وأراقوا السمام فى شفتيا
بين جنبى من زمانى جرح : وصحابى كم أثخنوا جنبيا ؟

هجتَ من كامن الشجون خفيا : يا أخا الشعر وابتعثتَ عصيا
قد تألمت اذ جفاك صديق : وتولى مع الرياح قويا
ما احتيالى إذن؟ تعاظمنى الخطب : فلم ألق فى الصحاب وفيا
كشفت لى الحياة زيف نفوس : خلتها المعدن الكريم النقيا

ما الذى رنّق الصفاء ومالى : قام لون الحياة فى عينيا
كلما ذدت عن فؤادى سهما : راش هذا الوجود سهما إليّا
كل خطب يهون عندىَ لكن : كان غدر الصحاب شيئا فريا
كم تمنيت أن أعيش سعيدا : وكم اشتقت أن أعيش خليا
بين لحنٍ أصوغه وكمانٍ : وحبيب أخلو إليه نجيّا
النعيم النعيم ملء خيالى : ضلّةٌ عفتُه وعشت شقيّا

يافؤادى نازعتنى لحياة : سرها ضلل العقول خفيا
قلت هب أهلها الحنان ونفسا : تؤثر الخير ليس تمنع شيا
هل رأيت النمير يختال طلقا : يمنح العيش والخلائق ريا ؟
والثريا .. وهل علمت الثريا : نورها شع للورى سرمديا ؟
ما يضير النمير لو أنكروه ؟ : قل وحدث . وما يضير الثريا ؟

يافؤادى : لا زلت فى العيش طفلا : ياشقائى تخذت منك وليا ؟

وقال تحت عنوان ... (هوذا الربيع) ... ٢٣ من يونيو سنة ١٩٣٥ « روزاليوسف »

هوذا الربيع فما حلاه؟ : سحر يرف على الشفاه
فى وجنة العذراء تندى بالجمال وبالحياء
فى العين ساجية اللحا : ظ كحالم عذب تروّاه
فى بسمة الطفل الوليد وفى ترانيم الفتاه
طالعت آثار الربيع فيالما صنعت يداه

هذا الربيع فحدثينى يارياض عن الزهور
أتراك جنات النعيم وهذه الأزهار حور
أم أنت مرآة السماء تراقصت فيك البدور
أم أنت احلام العذارى صاغها عطر ونور
من لى بقلب يحسن الإصغاء فياض الشعور

هذا الربيع فما الفؤاد ؟ : جمر خبا تحت الرماد
فقد الشباب على الشباب فخبَّ في حلل السواد
عللته بالذكريات فما أفدت ولا أفاد
لا الذكر يبعث فيه روحا لا ولا يورى الزناد
قال الفؤاد هو الشباب فإن مضى فانعِ الفؤاد

ماالروح ياهذا الربيع ؟ : نبع تفجر بالدسوع
روّى الفلاة فأينعت : عطرا على الدنيا يضوع
وسقى الظماء نميره : عذبا تَقَرُّ به الضلوع
عجبا لها هذى الحياة حلالها : ورد النجيع
روح تذوب أسى فتروى غُلَّةً منها الجموع

ياشاعرًا ملأ الحياة غناؤه عذب صداه
رسم الرياض نواضرا : والعطر نفاحا شذاه
والماء يجرى سلسلا : والحسن يرفل فى صباه
أفنيت أوتار الكمان وَرُبَّ ـت فى حَرَم الصلاه
رقص الورى لما شدو ت ورحت موصول الشكاه

وقال تحت عنوان ... (إلى الاستاذ العقاد) ... على ذكرى قصيدته الرائعة فى افتتاح دار العمال " روزليوسف ٢٩ من يونيو ١٩٢٥)

أرسلت فينا قولك المأثورا : طهرا يشع من القصيد ونورا
حقا ملكت الشعر غير منازع : وعلوت عرش الدولتين أميرا
ياشاعرا سحر القلوب وكاتبا : أسر القلوب بدره منثورا
لك من ذرى العلياء أمنع منزل : تخذ الكواكب دارة وسريرا

لامست في يوم السواعد كامنا : فورى . وهجت من النفوس شعورا
أنعيش في ظلها ونحن بمشرع : يهب القفار نضارة وطهورا ؟
نيل نصفى بالهناءة ماءه : للأجنبي - ونحتسبه مريرا ؟
أنمد للضيف الثقيل بظلنا : مغنى - وتصلينا الحياة سعيرا ؟
ما آفة الأوطان إلا معشر : ألفوا المهانة هاديا وزبورا .

إنى ليطربنى مقالك ثائرا : دوى بأفق النائمين زئيرا
فى كل صبح نجتليه روائعا : كالشمس تهتك للظلام ستورا
هذى سهامك قد رميت بها الألى : خلعوا الحياء ومزقوا الدستورا
وتخضبوا بدم البلاد مجانة : وعنوا مطايا للعدا وحميرا ؟
فانظر لقد قنعوا بشر هزيمة : أصبحت أعجازا لهم وظهورا ..

وقال تحت عنوان ... (بعد عام) ... روزليوسف أول يوليو ١٩٣٥

قد خلت ياقلب أن عاما : ينسيك ماكان من غرام

مازلت نشوان من سلاف : مزاجها الصاب والسمام
مازال يحدوك لمع آل : فى قفرة نورها ظلام
حاولت أن تمسكن الثريا : بالحب - فاجتاحك الرغام
والآن ياقلب بعد عام : هل آن الجرح بالتئام ؟

ياسادرا أوهن الحنايا : ومزق الصدر - لاينام
الله ياقلب فى شباب : يعتامه الداء والسقام
فى نضرة العمر - فى حُلاه - فى بسمة الزهر للغمام
يدعوك - ياويحهُ - نداء : للهم للحزن - للظلام
أسرفت ياقلب فى التصابى : والجسم تغتاله السهام ؟

هل تذكر العهد يافؤادى : والعيش جذلان فى ابتسام؟
تعطيك من قولها شهادا : يزرى بما تفعل المدام
بالدمع قد أوثقت عهودا : وهاجت الحب والهيام
والآن إذ حالت الليالى : روعت بالهجر والخصام ؟
دع عنك أحلامنا المواضى : يكفيك ماكان منذ عام :

وقال تحت عنوان ... (ثورة نفس) ... روزليوسف ١٢ من يوليو سنة ١٩٣٥ .

بدأت أنقض غزلي ساخرا ثملا : محطها مادعوةٌ في الورى أملا
ماالعيش إلا رؤى تختال فاتنة : عبر الخيال ووهم داعب المقلا
دنيا تغيض مع الأحلام بهجتها : وللحقائق سامت في الدنى نزلا

وصاحب لامني في الحزن أودعه : شعرى - وكان قريضي مفعما جذلا
يقول : مابال هذا اللون تعشقه ؟ : ولو درى بعض ما ألقى لما عذلا
ماالشعر إلا صدى للنفس أرسمه : والنفس لم تلق إلا الفادح الجللا
أإن شكوت هموما ثار ثائرها : قالوا نراك ضعيفا واهنا وجلا
دمعي على عزيز غير ممتهن : ياذله من يجاري دمعه رجلا
عصارة من فؤادي لست أبذلها : سيان جار على الدهر أم عدلا
جهدت أبعث من صحرائها أنفًا : تجسم الزهر فيها عاطرا خضلا
جلوتها للهوى مغنًى ترف به : دنيا الشباب - وفيها السحر قد كملا
ما افتر ثغر المنى عن مثل بسمتها : ولا ابتغى الحسن عن أرجائها حولا
وقلتُ ياطير من شاد وصادحة : هيا اسلكي سبلا - في جنتي - ذللا
السحر من جنتي والسحر من فمها : تجاوبا - ذاك في عطر وذا هدلا
فللكراوين أنغام مُرقَّصَة : وللأزاهر نفح ينقع الغللا
العطر والشدو والأفنان حالية : دنيا أهيم بها لا أرتضي بدلا ؟
ما كان أسعدني في ظلها زمنا : القلب في نشوة من خمرها نهلا

يقضى على عثارى أن أباعدها : وأن تخلفنى لا أملك الوشلا
صادٍ يثور بروحى بعدها ظمأ : لا الرى تبلغه جهدا ولا البللا ؟

فى غدوة ندّت الأرواح عاطرة : يهفو النسيم بريّا نفحها ثملا
والطير تصدح فى أفنانها مرحا والعيش فاض جمالا وازدهى حللا
والكأس مترعةٌ والنفس حالمةٌ : نامت فقام زمان يعشق الخطلا
رمى - على حين قد أملت نائلة : بطائر ينشر الأحزان ما نزلا ،
محلولك كسواد الليل طالعهُ : تخاله - إذ هوى فى روضتى - جبلا
يشرد الطير عن آفاقها فزعًا : ويزحم الجو - بالتنعا بد - والسبلا
فبالروض وقد أقوت معالمه : وغيّب البشر عن ناديه وارتحلا
أقلب اللحظ لا زهرى بمبتسم :ولا الربيع كعهدى يبعث الغزلا
وأرسل العين فى الصحراء موحشة : والقيظ يرسل فيها ناره شعلا
فيا لنفس ترى أطيارها هملا : حيرى بوادى الأسى لا تملك النقلا
لما رأيت زمانى قد جرى عبثا : فيحطم الروض بينا يعمر الطللا
هدمت فى ثورة ماشدت واكتملا : محطما مادعوه فى الورى أملا

وقال تحت عنوان ... (البعث) ... روزليوسف ١٨ من يوليو سنة ١٩٣٥ " مهداة إلى الطبيب عبد الرؤوف حسن " .

جنتى .. جنتى تراءت بعيدا : يافؤادى .. فدع سراك الوئيدا

دع بكاء الآمال قد صوّحتها : عثراتى حتى تراءت حصيدا
دعك من ليلة تولى سناها : ودع الدمع لا تصغه قصيدا
دعك ممن مضى بحبك يسعى : فى شعاب الحياة كزا جحودا
دعك من فتية ألفت هواهم : فاستقلوا ـ وخلّفوك عميدا(١)
آن أن تبسم الحياة طويلا : يافؤادى وأن أراك سعيدا

جنتى .. جنتى تراءت بعيدا : يافؤادى ـ فاطو الربى والبيدا
ليس بُعْدا ما يقتضيك كفاحا : إنما البعد أن تكون قعودا
لا تبال العثار فى خطواتى : أو تبال التصويب والتصعيدا
ذلك الفقر ـ إن أطقت جلادا : دونه العيش : هانئا ورغيدا

إن يكن طال بالعصير ثواء : فلقد طاب أصله عنقودا .
كلما زادك اجتواءً وَرَيْثاً : عتّقته السنون عذبا برودا
فترقب عصيره عبقريا : يمزج منك الموات خلقا جديدا

جنتى .. جنتى تسمعت منها : نغمات ياحسنهن نشيدا
ذُبْنَ فى الروح نشوة وحنانا : وانتظمن الوجود لحنا فريدا
جنتى .. جنتى تنورت منها : فى ظلال الخلود حورا وغيدا

(١) مريضا

يتمايلن فى جنون السكارى : حاليات بالنور وجهها وجيدا؟!
أوشك الفجر أن يلوح قويا : يغمر السهل - نوره - والنجودا
فانس عهدا مضى وراح مريرا : وابد للبعث والنشور وليدا

وقال تحت عنوان ... (من أغانى الصبا) ... روزليوسف ٢٤ من يوليو سنة ١٩٣٥

سعاد : ومنك جمال الصبا : وسحر الربيع ونفح الربى
وفيك تمثل هذا الوجود .. : زها جنة وحلا ملعبا
عجبت لقلبى كيف احتواك : فضم بك العالم الأرحبا ؟
سموت بروحى وأوليتها : مدار النجوم لها مسربا
وأشرقت بالنور فى جوها : وأطلعت فى أفقها كوكبا

سعاد : تألق سر الحياة : على شفتيك فيا للسنا ؟
تداعب أطيافه مقلتى : فتنعم روحى بعذب المنى
وتدفع عنى شقاء الهموم : وعبء دياجيرها الموهنا
وأنهل منها دماع الرحيق .. : شهى السلافة عذب الجنى
فيالتنا قد صحبنا الحياة . : رضيعين فى المهد - ياليتنا

سعاد : لأنت نشيد الخلود : يردد شعر الهوى لحنه

يحرك بالشدو قيثارتــــى : ويلهم هذا الورى فنـــه

تجاوب قلبى بأنغـــامـه : فـــودع مستبشرا حـــزنـه

وصفّق فى نشوة للحيــــا : ة وأترع من خمرها دنه

فيا حسن عيش سجا حالما : بسحر جمالك يا حسنـــه

وقال تحت عنوان ... (حان يانسر افتداء الوطن) ...

روزليوسف ٣٠ من يوليو ١٩٣٥ سنـــة

أذّن الداعى فهيا قُدُما : للمعالى ياشباب الوطـــن

إنما الدنيا لمن يقهرها : فاطرحوا عنكم رداء الوهـــن

وابعثوها صيحة داوية : واضربوا - إن عز - هام الزمن

ليس بعد الذل عـــاب

فانفـــروا أسدا غضـــاب

إن نمـــت نضب الشباب

فى ربوع قد نمانا نيلها : للمعالى ياشباب الوطـــن .

ضلةٌ إن نام منا غافلٌ : فى زمان عاف طعم الوسن

منطق المدفع ما أروعه : واضح الجرس قويم السنن

أيها النسر - حرام أن ترى : قابعا - فاسكن رفيع القنن

دونك الجـــو الـــرحيـــب

إن مغناك الخصيب
أفعمـوه بالنعيب

ذُدْ بغاثَ الطير عن ساحته : حان يا نسر افتداء الوطن .

وقال تحت عنوان ... (لمن الحياة) ... روزليوسف ه من
١٩٣٥
أغسطس سنة

تسمَّعت في جنبات الظلا ... م وصمت الوجود نداء العُصُر
يحرك مني موات الشعور .. : ويدفع عني دبيب الخَوَر
ويكشف عن ناظريّ الغطاء ... : كثيف الحجاب عديد السُتُر
ويبعث بي في شعاب الحياة .. : أطالع منها جماع السِّيَر
تحدث عن خاليات العهود .. : وترسم لي رائعات الصور
فيا للنداء قوى البيان .. : ويا للحياة تسوق العبر

علمت الحياة لعضب الذراع .. : وقصف الرصاص وحد الذكر
وشعب إذا أزمته الخطوب .. : أقل الكلام وعاف الهذر
وأنطق من صامتات الحديد .. : لسانا يجلجل إما هدر
إذا ما تكلم أصغى الزمان .. : الى قوله ـ واستجاب القدر
فما كان رمسيس غير الكماه ... : تثور وغير الخميس المجر

وما كان "طوطميس" إلا الجـــلاد .. : والا القتـال لظـاه استعـر

اذا شـاء سطرهـا بالدمـاء .. : وسجلهـا ببنـان الوتـر

سل الذين عن أقام العماد .. : لـه فاستتب ـ يجبك ـ الزمـر

خفـاف أدالوا عروش الطغــاه .. : فعـم السناء الورى وانتشـر

قنعنـا بما خلفتـه الجدود .. : ونمنـا فما أيقظتنـا الغِيَر

ونمنـا ـ فولّى عزيز التراث .. : وخلـف ساحتنـا وانحسر

أتسمو الشعوب على النيرات .. : ونأوى الى مُظْلمات الحفـر؟

وتنهـل عذبا سـلاف الحياة .. : ونقنـع ذلا بصُـرِّ السوَّر ؟

فهـلا استجبتم لداعى الحياة .. : وهـلا وعيتم حديث النذر؟

وقال تحت عنوان ... (جبـارة الصحـــراء) ...

روزليوسف ١١ من أغسطس سنـــــة ١٩٣٥

يانبتـة الصبـار يانعـــــة : بين الصقيع ولفحـة النـــار

يغزوك من جـوف الثرى حمم : ومن الهواء سمـام اعصـــار

وتَدُعُّكِ الأنـواءُ عاصفــــة : من كل سافيـة ومَـوَّار

فى مَهْمهٍ ناحـت مفاوزه ... : ودوت جوانبـه بتــزآر

فالريح صاخبة ومعولة : في ربوة جرداء أو غار
أزَّيَتْ بالأيام ثائرة : وبرزت للدنيا بأشفار ؟
وعدا الزمان يسوق ألوية : في جحفل للموت جرار
فصمدت لا يؤذيك لاغبه : جبارة صمدت لجبار

يانبذة لم يوهها عنت : من دهرها وعبوس أقدار
طاولت هذا الدهر غالبة : وبلغت شأو الكوكب السارى ؟
فلأنت خير النبت باسقة : ومحمل بالزهر معطار ..
ما فضلها شماء فارعة : في غابة حفلت بأشجار ؟
أو كرمة في الروض حالِيَة : والروض مهد شذى وأثمار
مثلت لى دنيا عباقرة : مابين جهال وأغرار .

وقال تحت عنوان ... (سمو الحب) ... روزليوسف ١٧ من أغسطس سنة ١٩٣٥

تعالى نسمع الروضا : نشيد الحب ألحانا
منغمة من القبلات أو من همس نجوانا
يفيض حديثها سحرا : هفا بالطيب نشوانا

تعالى ألهمى شعرى : ضروب الخلد أوزانا
(فأنت قصيدتى الكبرى) : حويت السحر ألوانا
أطالع فيك آمالا : وأنسى فيك أحزانا

تعالى فابعثى روحى : شهابا فى الدجى يسرى
يبدد حالك الدنيا : بفيض النور والطهر
ويبعث فى جوانبها : نداء لهيب النشر
ويحطم من منا بتها : جذور اليمن والشر.
أحسن بهاتف الأخرى : ينادى للردى زهرى
وعمرى إن مضى قفرا : فيالضياعه عُمرى؟

تعالىْ أرثى النارا : فإن العيش للشاعر
ضلا لا جنة الأحلام أوهت عقلى الحائر
سرى نشوان تحدوه : أمانى جوها الساحر
فما أغناه تطوافٌ : وعاد بصفقة الخاسر!
إذا لم يولنى الحب : سموا بلهب الخاطر
فَخَلِ القلبَ هاتفةً : وداعا أيها الشاعر

وقال تحت عنوان ... (فلا نام الجبان قرير عين) ...

ألا من مبلغ عني الرجالا : مقالة مخلص يخشى المآلا ؟
تناوشنا من الأرزاء سيل : يحرك - من مراسيها - الجبالا
وطالعنا الزمان بكل حرب : وأوردنا المعاطب والوبالا
وأترع كأسنا مرا وذلا : وأنهل غيرنا العذب الزلالا
أهيب بهم - وقد عبست خطوب : تحيط بنا - إلى العليا رجالا ؟
إلام النوم والدنيا طلاب : وهذا الغُمْر فينا قد تعالى
وكم وغدٍ تطاول من رغام : فصال بأرضنا قحة وجالا
وحتام التهاون في حقوق ؟ : وتالد مجدنا الموروث زالا ؟
ومن يغمض على الاقذاء جفنا : أبيح حرامه نهبا حلالا

عذيري من شبيتنا عذيري ؟ : تراءى بعضها سِقطا مُذالا
تشبه بالغواني حاليات : وقد ثقف الخضاب والاكتحالا
تمايل غرهم دلا وتيها : ونماء بجسمه لينا وصالا .

ضلالا يبتغى للكون مَسْخًا : فليت الغاب لا يضحى غزالا ؟

شباب النيل : إن النيل يدعو : فكونوا عند دعوته النصالا .

دعوا لهو الحياة فليس عدلا : إذا ضحك الأسير وقر بالا

لعمر أبيك ما الأيام إلا : ارادتنا صوابا أو ضلالا

فإن شئنا علونا الشمس هاما : بعزمة صارم جهل الكلالا

وسيرتنا الصحائف خالدات : يفيض حديثها أبدا جلالا

فما نيل الحقوق رهين قول : ولا هو بالذى يُشرى جدالا

فلا نام الجبان قرير عين : ولا عاش الذى يحيا سؤالا .

وقال تحت عنوان ... (روعة الذكرى) ...
فى ذكرى سعد زغلول نشرت بروز اليوسف فى ٢٤ أغسطس ١٩٣٥

روعة الذكرى أثارت فى دمى : عاصفا من وحيها لا يستكين

إنما سعد حياة للورى : خالد الايحاء فياض المعين

قد مضى إلا شعاعا ساحرا : هو "راديوم" التفانى واليقين

هو روح الشعب فى ثباته : هو نور - هو طهر - هو دين ؟

روعة الذكرى أضيئى حالكا : واملائى بالنور أفق المدجلين

قد نسينا النور يسرى طاهرا : واحتوانا الليل جهما لا يبين
يحمل الوحشة فى أردانه : نابغيا . أظلمت فيه الدجون

روعة الذكرى أثيرى خامدا : وابعثى النار تؤز الخائنين
أرسليها لعنة حاصبة : من لظى تجتاح شر الخارجين
شيعة الشيطان ـ عباد الهوى : منبت الداء ـ عبيد الغاصبين
أشربوا الذل وماتوا أنفسا : ومضوا فى الارض قوما صاغرين
إنْ عدوٌّ زجر الطير لنا : يسرة أجروا له طير اليمين

ياشبابا عزَّ فى أوطانه : ما أفدتم من تجاريب السنين ؟
عادت الذكرى ـ فهل أنتم كما : يعهد النيل إباءً لا يهون ؟
أرجف العادون عنكم كذبا : أنكم فِتُّم إلى ذل مهين
هل نسوا النار بصلدٍ كمنت : فاقدحوا الزند وهزوا العالمين
إنَّ شعبا أفعم الدنيا هدًى : سوف يحيا رغم أنف الكائدين

نحن ياسعد على الدرب فكن : هاتفا ما بين وِلدان وعِينْ
قد زكا غرسك عودا وجنى : وسرت روحك تهدى الناشئين

نحن ياسعد شباب كلنا : فارس الهيجاء مناع العرين

نحن من مصر ـ وهل مصر سوى : موئل المجد وأرض الخالدين

فليرَ الدهر عجيبا فى غد : وثبة الليث وعزما لا يلين

وقال تحت عنوان ... (يا نفسى) ...

عفتُ كأس الذل يانفسى : ضلةٌ للذل من كأسى

فاحطميها ـ خاب مترعها ـ : قد كفى ماكان من بؤس

إن ريا من مراشفها : فيه ريح الموت والرمس

طال ليلى بين جائشة : من هموم حطمت رأسى

يالقومى طال نومهمو : أين ولّى زاهر الأمس ؟

إن هذا الغل أثقلنى : صيغ من ضيق ومن تعس

نال آمالى وبددها : واحتوانى موهنا حسى

ما جداء السول أرسله : ماغناء منمق الطرس ؟

بينما وطنى ـ على عنتٍ ـ : مصبح فى قيده ممسى

يادماء النيل ثائرة : أنقذيه ـ ضاق بالحبس .

لا يرعك الخطب ياوطني : قد تدانى مطلع الشمس
قد علمنا العز مشرعة : فى ظلال السيف والترس
فى دماء سال دافقها : من شباب جاد بالنفس
فى هزيم الرعد يرسله : مدفع " مستطح " الجرس
هو فى مسمع العلا نغم : رق كالنجوى أو الهمس

وقال تحت عنوان ... (الى قوسى) ...
روزليوسف ٣ من سبتمبر ١٩٣٥ .
سنة

حين اعتدى الايطاليون على أهالى بورسعيد
وعلى شاب مصرى كان جالسا بأحد المقاهى أثناء سير موكبهم
عقب استقبالهم لأحد بواخرهم المقلة لجنود طليان فى طريقها
للحبشة)

يامعشرًا نسى الكرامه : ذقت الهوان - فلا ملامه؟
غاليتَ فى طلب الأمان .. : وضِعْتَ فى حب السلامه
أمِنَ النسائم قد خُلِقْتَ : تئن فى ضعف الحماسه ؟
حتام نومك هانئا ؟ : وإلام فى الذل الاقامة ؟
والموت خاتمة المطاف .. : فقم ولا ترهب زؤامه .

يا سادرا فى اللهو .. هذا .. : اللهو يورثك الندامه
يا ناسيا عهد الرجولة .. : والبطولة والشهامه
لم يبق من مجد الجدود .. : سوى الصدى وحديث هامه
ياليت هذا النيل جفَّ .. : وليت من نارٍ رغامَة

يا بورسعيد تحدّثى : واروى لنا سير " الدرامه "
وصفى لنا أبناء روما .. : إذ يقيمون القيامه
باعوا النفوس رخيصة : وسعوا إلى نيل الزعامه
لله شعب كان منطقُه .. : لدى الجُلّى حسامه ؟
لا تنكروا حق القوى : فنحن أهون من قلامه
لا تنكروا كأس الهوان .. : فطالما ذقنا سمامه
لا تنكروا حقا يضيع .. : فنحن أفلتنا زمامه
والليث إن ألف الهوان .. : ونام .. داسته النعامه

يا بورسعيد تحدّثى : عن مشهد غالٍ الكرامه ..
عن مشهد الشعب الذليل .. : يريش من كَلِمٍ سهامه

عن مشهد الشعب الذليل : أباح - فى ضعة - حرامه

شقىٌ شبابك وانـدبى : شعبا قد استمرا منامه

إكرامه الضيفَ الدخيلَ : أذاقه خسفا وسامه

وقال تحت عنوان ... (من ذكريات ثورة سنة ١٩١٩) ...

روزليوسف ١٧ من سبتمبر ١٩٣٥

" حمدى "

الشهيد المجهول

نَزكا كريمَ العود فى موطن : العزُّ والعلياءُ من غرسه

غذته من مصر ومن نيلها : روحٌ تذيع النار فى حسه

فتى لـه نجمُ السما مسربٌ : إذ ضاقت الدنيا على بأسه

لم يرهب الآلام مشبوبة : ولا أساغ الذل فى كأسه

حتى مضى كالزهر فى طهره : فياسقى الله ثرى رمسه

لما دعا فى مصر صوت الهدى : " ياأيها النوام طال الوسن

هبوا إلى الدنيا فقد نالها : شعب كريم عاف طعم الوهن"

تجاوب الوادى بأصدائه : وأيقظ الغافين داعى الوطن

وقامَ فتيان الحمى قومةً : أصغت لها الدنيا ونصّ الزمن
فيا لحمدى بين أقرانه : ما نام عن آماله أو وهن

عرفته فى الصدر لا يتقى : نار العدا عمياء لا ترحمُ
تصلى جموع الشعب فى أمنها : شؤبوب غل بالردى مفعمُ
ينثال فى حقد وفى جِنّة : كما يثور الأهرت[1] الأرقم
فما لحمدى لا يهاب الردى : كالظل لا يعدوه بل ألزم ؟
وكيف يخشى الموت مَنْ عيشُه : صابٌ ومن أيامُه علقم

مضى يقود الجمع فى موكب : تمثل الإيمان فى روعته
لا يعرف العدوان منهاجه : ولا يسيغ العنف فى ثورته
شعب تواصى بالحجا وانتضى : عزما أخاف الظلم فى سطوته
فثار يزجى الموت أعوانه : وقام مرتاعا على دولته
وأنطق "الرشاش" فى موقف : يضيع صوت الحق فى زحمته

فكم شهاب ناضر طاهر : أردته هذى الآلة الغادره

(١) الأهرت : واسع الفم

أَهَمَّ حمدى أن يرى صحبه : صرعى ـ فجنت نفسه ثائره
مشى إليها باسما ساخرا : معانقا أفواهها الزائره
حتى هوى والموت فى حضنه : قد حُطِمَتْ أنيابُه الكاسره
وباع حمدى نفسه فديةً : مقدما دنياه للآخره ..

وقال تحت عنوان ... (من الأعماق) ...
روزليوسف ٣ من أكتوبر سنة ١٩٣٥

ضل ياقوم من رجا : فى حمى الظلم موئلا
ضل من عاش هانئا : ينهل الذل سلسلا
إن فى مصر معشرا : باعد العز معقلا
حاد عن مسلك الهدى : وانتضى الختل مفصلا (١)
يملأ الجو صاخبا : إنْ يرَ النفع عُطِلا

ضاع ياقوم طالبٌ : آثر اللين مقولا
إنما الحق مدفع : إن دجا الأمر فَصَّلا
قد صحا كل غافل : واغتدى الكون مرجلا

(١) المفصل هو اللسان .

وادعـت كل أمـة : أنهـا ربـة العـلا
ليس للمجـد غيـرها : موردا طاب منهلا ؟

أين ياقوم رأينـا : فى ذرى المجد مرسلا ؟
قد تسمعت خفقـهُ : راح فى الجو مُعْـوِلا
أين ياقوم جيشنـا : يمـلأ الأرض جحفـلا ؟
أين ياقوم سربنـا : فى حمى الطيـر موغـلا ؟
أين ياقوم عزمنـا : إن بغـى الدهـر زلـزلا ؟
ذلة العيش شابهـت : غمـرة المـوت والبلـى
فتية النيـل يقظـةً : فتيـة النيل : حيعـلا
آذن الخطـب معتمـا : كالـح الوجـه معضـلا
فانقذوا الشعب رازحـا : تحـت بلـواه مثقـلا
وأمتطوا العـزم مركبـا : وابتغـوا النجـم منزلا
عـز من راود العـلا : واجتبى الهـام واعتلـى .
ان للعـز نشـوة : دونهـا هـزة الطلـى .

وقال تحت عنوان (حسناء العلم شارلوت واصف) بمناسبة انتخابها ملكة للجمال العالمي سنة ١٩٣٥ ٠ . روزليوسف ١٠ من يناير ١٩٣٦

الحسن أسلمها زمامه : والطهر قلدها وسامه
هيفاء قد عصر الشباب : خدودها أحلى مُدامه
وسقى الوجود رحيقها : صرفا فما أخفى هيامه
وترنحت أعطافه طربا : وأعلنها غرامه
أيان تخطر فالقلوب عبيدها ولها الزعامه
لا تعجبوا للحب أمضى من لواحظها سهامه
فسلاحه دعج العيون تثير فتنتها ضرامه
الكل ياشارلوت من عينيك يسألك السلامه
وفَم اذا صاغ الربيع النّورَ حاكاه ابتسامه
سر الجمال فى شفتيه فاستمْسَرَا مقامه

ياالقَوام حكى غصون البان قدًّا واتزانا
ريّانَ طاف به الدلال مليكةً تخطو رزانا
لم يزهه صلف الجمال فماس عجبا وافتتانا
أوَما رأيت البدر يخطر فى السماء علاً وشانا
وجماله ملء النفوس يشيع فى الدنيا حنانا؟
شارلوت يابنت الفراعين الألى ملكوا الزمانا
يابنت من تخذوا النجوم الثاقبات لهم مكانا
لافرو إنْ تَاجُ الجمال علا جبينك واستكانا
لا بدع إن عرش الجمال سعى إليك وما توانى
فالمجد للنيل الصناع نماه لمّا أن نمانا

يا أخت ايزيس الجميلة قد طلعت لنا هلالا
أشرقت ساحرة السنا وملأت دنيانا جمالا
ونفثت فى روح العوالم والدنى سِحْرا حلالا
فإذا الرياض بواسم تاهت أزاهرها اختيالا
واذا القفار ترفّ أنداءً وتحلولى ظلالا
هيا ابعثى مجدا تراجع عن مغانينا وسالا
هيا املأى سمع الزمان بأننا قمنا رجالا
نبهت فينا كامنات العزم تكتسح الجبالا
فلأنت كالبشرى أضاءت حالكا ومحت ضلالا
البعث يتبعها وشيكا يزحم الدنيا جلالا

فى الحسن سر الكائنات ومن مآثره الحياة
والحسن روح العيش ثَمَّ ربيعه وزهت رباه
والحسن نور بدد الظلمات سابغة سناه
والحسن ياشارلوت أنت وفيك باسمة حلاه
أنت النداء سرى بهذا الشعب محمودا سراه
يجتاح أشباح الظلام ويوقظ النعّاس فى صداه
قد كرموا بالأمس فيك النيل والصيّد الهداه
قد كرموا شعب الخلود وكرموا أرض المناه
قد كرموا فيك الجمال ومهده مصر الفتاه .

وقال تحت عنوان ... (أغنية المحروم) ...

دعى عينيك ياليلى : تثيرا كامن الحب

دعى عينيك ان رمتا : بقر السهم فى قلبى :

دعى شفتيك يغريني : فداءٌ منهما ثائر

يصور فيهما الدنيا : يرف جمالها الساحر

دعى نهديك ينتهبا : رشادى كلما ثارا

إذا رقصا فيا ويلى : صَلِيتُ الوجد والنارا

كرهت العيش أجد به : بعاد الغيد عن ساحه

وعفت الدن أقرفه : زمان الهجر من راحه ؛

فهاتى الخمر ياليلى : جناها العذب من خدك

طعمت الصاب فى سهدى : فهاتى الحلو من شهدك.

وقال تحت عنوان ... (بين المد والجزر) ...

روزليوسف ٢٨ من فبراير ١٩٣٦

في أي هاوية تدلى : حظي ؟ وأين مضى وولى
أم أي قاصِّيَةٍ رمته : بلحظها فغوى وضلا ؟
أيان حظي قد تولى : أسلا هوى قلبي وسلّا
قد كان وادينا يرف ... : نعيمه طيبا وظلا
ياطالما أوردته : صرف الهوى نهلا وعلّا
عاطيته كأس الرضا : وتخذته للروح خلا
قد كان أهدى من ... : نجوم الليل إن أُفقٌ أضلّا
ياطالما حاز السباق : وطالما جلّى وصلّى
إن أعضلت عقد الحياة : ألآنَ عاصِيَها وحلّا
أو أظلمت سبل الوجود ... : أنار حالكها وجلّى :

ياليت ياحظي فقدتك : في بكور العيش طفلا
أيام كان العيش ... : عذبا كالرؤى بل كان أحلى
أيام لا ألفي الحياة : ـكحاضري ـعبأً وكَلّا
ياليت قد حطمت كأسي : أو أحلت الخمر خلا
ياليت لم أنهل جناك : ولم أنل ربًّا تولى

جِدًّا ترى هذى الحياة : تسير أم لهوا وهزلا ؟

الحظ قاد زمامها : وسعى بها علوا وسفلا

لا تعرف الرأى السديد : ولا ترى للعقل فضلا

كم عالم أجدى عليه ... : نهاه مسغبةً ومَطْلا

كم شاعر شرب الدموع . : وناء بالأحزان حملا

إنى سئمت هوانها : وسئمت رائدها المضلا

وكرهت أن أحيا أعانى : قيدها وأجُرَّ غُلَّا

ما أبأس الكروان نريد ... : عن الرياض وما أذلا :

حبسوه بين البوم فاض .. : نعيبه حقدا وغِلَّا

ياطائفا لليأس : هلا : قد تركت حماىَ هلا ؟

إنى ليطربنى الكفاح وان .. : تَسَاحظى وذلا :

سأعيش رغم عبوسه : للمجد والقدح المُعَلَّى .

وقال تحت عنوان ... (إلى النور) ...

أو نداء الجبل : الجهاد ١٢ من يونيو ١٩٣٦ سنة :

قد أنَى ياشبابْ : أن نخوض العبابْ

أن نحيل الصخور : قبضة من تراب
أن نذيع النماء : في البلى واليباب
أن نثير القلوب : حرة لا تهاب
أن ننال النجوم : أن نذل الصعاب
قد أنى ياشباب

قد أنى ياجنود : أن نعاف الهجود
قد أنى أن أعيش : للعلا والخلود
فاشتروا بالنفوس : كل مجد شرود
وابعثو للسماء : في زئير الأسود
صرخة لا تموت : واهتفوا بالنشيد
قد أنى أن نسود

قد أنى يارجال : أن ننال المحال
كل صعب يهون : للخفاف الثقال
كل مجد يشاد : بالرماح العوال
إن مهر الخلود : في الضحايا الغوال

إن دون الصخـــــــور : منبعـــا مـــــن زلال

فـاحطـموا يارجـــال :

قد أنى يـــارفـــاق : أن نفـــك الوثـــاق

إن عيش الهـــوان : سبـــة لاتطـــاق

كيــف تحســو السمـــام : مستطاب المذاق ؟

قد أنـى للضيـــاء : أن ينيـــر المحـــاق

فالبدار البـــدار : والسبـــاق السبـــاق

للعـــلا يـارفـــاق :

وقال تحت عنوان ... (ياراحــلا للخلـــــد) ...

* إلى أرواح شهداء نوفمبر ١٩٣٥ (فى الحركة التى قام بهـــا الشبـاب عقب عيد ١٣ نوفمبر - مطالبين بالدستور والاستقـــلال فى عهد وزارة نسيم باشا وانتهت باعادة دستور ١٩٢٣) وهـم محمد عبد المجيد مرسى الطالب بكلية الزراعة العليا وعلى طـه عفيفى بدار العلوم العليا وعبد الحكيم الجراحى بكلية الآداب . واسماعيل محمد الخالع الغراش - ومحمد عبد المقصود شبكة ومحمد محمود

النشيد شهيد طنطا :-

حمل اللواء نجيبها وفتاها : ومضى يصون ذمارها وحماها
قد جودت مصر النماء كريمة : فزكا وطرز سهلها وربـاهـا
كالجنة الفيحاء طاب نعيمها : وهفت نسائمها ورق هواها
وصفت مواردها وساغ رحيقها : ودنت مجانيها وفاح شذاها
إن الذى رفع السماء وشادها : بالمجد شرف أرضها وحباها

حمل اللواء نجيبها وفتاها : ندبٌ إذا لقىَ الخطوب لوَاها
يجتاح كالسيل الأبيّ إذا سمى : للروع أو عبس الزمان وتاها
يارُب غاشية تطاول ليلها : للمدلجين بعزمه جلاها
يارب نازلة تتابع شرها : أمضى السهام مريشة ورماها
من للحوادث عزّ كبّت جماحها : غير الفتى المصرى يلجم فاها ؟

حمل اللواء نجيبها وفتاها : ومضى الى الجُلّى فصان لواها
تعتامه الطعنات غير مروّع : وتنوشه الآلام ثار لظاها
يمضى فلا عنت الزمان يدعّه : عن رد عادية ودفع أذاها

حتى إذا ريم اللواء وأشبلت : ظلم الردى لم يخش حَرَّ لقاها
غالى به في حين أنهل روحه : - في بسمة - الجبار - كأس رداها

يا راحلا عنا وليس بغائب : بلغت من هذى الحياة مداها
أشرف على الدنيا العريضة من علٍ : نجما يبدد حالكا غشاها
هذا الظلام يميت لولا ومضة : ترجى - يفيض على الوجود سناها
يا راحلا للخلد أية سيرة : تبقى على طول المدى ذكراها ؟
هى عطر وادينا ومبعث نوره : وعتاد مصر ومجدها وحلاها

تسرى بنا نحو الخلاص شبيبة : طابت أمانيها وطاب سُراها
جادت - على بخل الزمان - بأنفسٍ : وتسابقت صوب الفداء خطاها
أشباب مصر وأنت أمنع معقل : صُنْ للبلاد جهودها وقواها
نادتك مصر وقد جرت بشراعها : ريح الخلاف فلبِّ أنت نداها
سر بالسفينة للسلامة واحْدُها : باسم الإله وهَدِّيه - مجراها

وقال تحت عنوان ... (الفجر) ...

* فترات في حياة الأمم تغمرها باليقظة واليقين ، وتدفع الـ

أطوائها بروج جديدة ، تذود عن أجفانها النوم وأشباه النوم هذه الفترات أشبه ماتكون بالفجر فى روعته وحلاه و مباهجه وسناه ، وجدة حلته وقدس فتنته "

هو الفجر عم جميع البقاع : وحرّك وديانها والتلاع
يورث روحا طواها الكلال .. : ويبعث بالنور خابى الشعاع
ويوقظ من نام ملء الجفون . : وعاف الجهاد وملّ الصراع
ويفعم دنّ الحياة الجديد . : بحلو العصير وصرف الدماع
فهيا خفافا الى المكرمات : وحلّوا ـ الى المجد ضافى الشراع

هو الفجر . مرحى به ياشباب : وبعدا لليل صفيق الضباب
مفاتنه زاخرات الحياة : وفيها تضىء الأماني العذاب
وفيها يبين الصراط السوىّ . : وفيها يبين طريق الصواب
ويحلو التهجد فى قدسها : وتندى الشفاه بذكر المتاب
فمدوا إلى الله كف الدعاء : وصلّوا ينلكم بعيد الرغاب

الى المجد ـ هذا أوان الفلاح : فمن للهداية غير الصباح ؟
أرى الفجر يكشف سود الشعاب : ويغمر بالنور داجى البطاح

فغنوا النشيد وحيوا الجديد : وهاتوا العزيمة أمضى سلاح

دعوا البوم يملأ كهوف .. الظلام بمرّ العويل وباكى الصياح

وهيا إلى النور - طاب الوجود .. : وطاب الشباب وطاب الكفاح :

وقال تحت عنوان ... (للنيل ماشيد البناة) ...

روز اليوسف ١٧ من ديسمبر ١٩٦٥

من كوثر الطهر والنقاء : وسدرة الخلد والبقاء

قد سال مجراك سرمديا : يانيل يامنحة السماء

كم تعمر الأرض من شعوب : تمضى الى الموت والفناء

وأنت فوق الزمان شاوٍ : توحى الى الجدب بالنماء

ان أظلم النجم أو تهادى : أنعمت سراه بالضياء

يا أيها النيل أى معنًى : تحويه بالسر ضفتاك

إن هجت فالنار فى لظاها : أو طبت فالشهد من جناك

أنهلت من كأسك المصفى : - سيان - أهليك أو عداك

من صان نعماك أسلمته : للمجد - أو خان للهلاك

حطمت من رام قدس مصر : وأوهنتْ عزمه يداك

قد أرجف القوم حين قالوا : تطامنت مصر للظلام
ومال ميزانها وأمسى : جلالها نهبة الرغام
وساحها الذل كل خسف : فأسلمت مصر فى ابتسام
يا هؤلٰء لا سقاكم : ولا سقى أرضكم غمام
قد ضل مسباركم وغشت : عيونكم كدرة الخصام

يابارك الله فى شباب : أهدى من النجم فى سراه
ان آذن الخطب مكفهرا : لاتطعم النوم مقلتاه
كم شاد للنيل من عماد : يبقى على الدهر والحياه
كم ذاد عن مصر وادّراها : وقابل الموت وازدراه
قد صاغ إيمانه شعارا : "للنيل ماشيد البناه"

عرج على الجيزة الفتيه : وطف بأرجائها الرحاب
وقِفْ بأنصابها مليا : وحَيِّ ـ فى رمزها ـ الشباب
واسمع لأحدوثة الليالى : تدوى بها النار فى اصطخاب
وينطق المجد مستفيضا : بينا طوى أهلها التراب
صحائف الخلد سطرتها : جهودنا ـ حبذا ـ الكتاب

وقال تحت عنوان ... (أصداء القرية ...)

روز اليوسف ٢٢ من ديسمبر ١٩٣٥

ذكر الحمى تبكى لذكراه : صبٌّ أطال البين شكواه

زعمن ملَّ - وقد تقاذفه : لج الحياة - وعاف مغناه

أينام صادٍ عز مشرعه : والنار تأكل فى طواياه؟

إن كان ـيه راود قلبه سأمٌ : فلقد سلا المجنون ليلاه

ياصاحبا بالريف : منزله : طى الحشا والقلب مثواه

أتُرى عهودى بتَّ تذكرها : وثَرى الهوى لا زلت ترعاه؟

ولقاؤنا بين النخيل ضحى : والطهر يرعانا ونرعاه

أتراك رغم البين ذاكره : أم غيب النسيان ذكراه؟

فى ملعبٍ ماست عرائسه : ياطيب مغداه وممساه .

للنخل أوتارٌ يداعبها : شاد على النسمات مسراه

من عالم الأرواح مهبطه : ومن السماء القدس مهواه

أنفاسه كالسحر يبعثها : ونشيده قد رق معناه

والجدول الرقراق منطلق : بين الحقول الخضر مجراه

يصفى الوجود لهمسه طربا : وتعى الرياض الغر نجواه
قد عانقته ضفافه شغفا : كالغمد ضم السيف شقاه

مابال أيام لنا سلفت : تهتاج قلبى فى حناياه؟
ينتابنى من ذكرها شجن : أوهى الفؤاد أسى وأضناه
الدمع ان غالبته جلدا : فالهم فى جنبىّ أصلاه

وقال تحت عنوان ... (إلى شباب النيل : تحية العيد) ..
روز اليوسف ٤ ديسمبر ١٩٣٥

العيد من هذى الحياه : كالفجر باسمة حلاه
تتجدد الدنيا بمقدمه .. : وتزدهر النواه .
ويهم ساكنها ويزدحم : النشاط على خطاه
هو كالمنى تغزو الفؤاد : فيحتوى همًا عناه
هو كالروى عذبت وفاضت : بالهناءة للشفاه

العيد : طاب العيد فى : بسماته وزكا شميمه
فكأنما جمع الربيع .. : وطيب نفحته نسيمه

وكأنما قد صيغ من : زهر ونوارٍ أديمه
يوم يكفر عن شقاء.. : العام مايزجي نعيمه
يقف الزمان فلا تثور.. : على خلائقه همومة

فلتخلقوا من جو السحور : آمالا .... فتيه
ولتنسجوا من هديه : ويقينه لكمو تقيه
ولتغمروا كأس المحبة ... : من موارده الهنيه
ولتملأوا الأفاق... : بالالحان دارية شجيه
لاخير فى شعب رأى : دنياه أحزانا عصيه

سيروا على عين السماء .. : ففى رعايتها الضمان
لا يثنكم ياقوم عن : هام العلا والمجد شان
لا يطعم النصر الضعيف : ولا يفوز به جبان
فتدفقوا كالسيل لا : يلوى اذا جد الزمان
الذروة الشماء أو : فالموت أنفى للهوان

العيش ماشئنا وشاء : العزم ياهذا الشباب

يارب ليل مظلـــــم : وعر المسالك والجوانب
يبدو لذى الرأى الجليد : مُعَبَّدا ضاحى الشعاب
يارب قفر موحــش : يلهو بسالكه السراب
أجرى به صدق العزيمة : منهلا حلو الشراب

وقد توفى الشاعر فى سن الشباب لم يتجاوز عمره الأربعين فقد توفى سنة ١٩٣٦ – وقد سجل أكثر من أربعين قصيدة وقد اخترنا ثلاث قصائد منها حللناها وجسنا خلال أبياتها ناقدين ومفسرين ومقدّرين له دوره كخريج حامل لليسانس التربية والآداب فى هذه الفترة التى عاشتها مصر فى هذا القرن العشرين فى عقده الثالث وعبر بهذه النبرة الصادقة عن شاعره وشاعر الجماهير – وشارك فى هذا الأدباء الآخرين المتخرجين مثله من مدرسة المعلمين العليا فى رفع راية القلم والشعر والأدب .

... (الباب الخامس) ...

بواكير الشعر في السودان الحديث

إنى أميل إلى الرأى القائل (١) بأن النهضة الأدبيه الحديثة في السودان لم تبدأ سنة ١٩٢٤ وهى السنة التى قام فيها الوطنيون السودانيون وعلى رأسهم عبد الفضيل ألماظ وعلى عبد اللطيف بالثورة على الانجليز الذين كانوا يريدون أن يفصلوا السودان عن مصر - ولكنها بدأت قبل ذلك من العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر حيث كانت البلاد تموج بأحداث الثورة المهدية - وكانت الثورة المهدية قد أدت الى إشعال الحماسة الدينية فى البلاد بل إن أحمد العوام وهو مصرى عرابى أتى الى السودان بعد فشل الثورة العرابية وشارك فى تأييد محمد أحمد المهدى بكتابة كتابه (نصيحة أحمد العوام)(٢) وقد كتب هذا الكتاب بأسلوب أدبى وقد قرظه بعض شعراء محمد أحمد المهدى كما فعل عبد الغنى السلاوى بقوله :-

أبدى بها أقوى الدلائل فى اتبا : ع إمامنا المهدى بدر تمام

(١) تيارات الشعر العربى المعاصر في السودان - د . محمد مصطفى هدارة

(٢) حققه المؤلف ونشره وكتب تعليقا عليه طبع دار الفكر / بيروت

وأجاد فيها من أدلته على : ماشاء ربى ماسكا بزمام

ولقطعها لظمائى قلت مؤرخا : تمت نصوص رسالةالعوام

تعقيبه : نتره على هذا المنوال الركيك الذى لاوجدان فيه ولاعاطفة بل مجرد قوالب مرصوصة وكلمات موزونة ولكنا رأينا شعراء مجيدين يلتفون حول محمد أحمد المهدى يصوغون قلائد الشعر الرصين الذى لا يقل روعة عن شعر من أتى بعدهم من الشعراء الذين عاشوا عصر الرقى الأدبى الكامل فمثلا نجد شاعرا كمحمد عمر البنا (والد الشاعر عبد الله محمد عمر الذى أفردنا له دراسة خاصة فى كتابنا هذا) يقول فى قصيدة له أنشدها بين يدى الإمام محمد احمد المهدى

الحرب صبر واللقاء ثبات : والموت فى شأن الإله حياة

قوم إذا حمى الوطيس رأيتهم : شم الجباه وللضعيف حماة

ويقول :-

فى السلم تلقاهم ركوعا سجدا : أثر السجود عليهم وسمات

ويقول :-

خذ جَيْشَك المنصور لاتحفل بهم : ولتقدمن أمامه الرايات

وبنات فكرى شرفت بمديحكم : وتعطرت بثناكم الأبيات

ثم بحثه على فتح الخرطوم والتى فتحها على يديه ١٨٨٥) :-

فانهض الى الخرطوم إن بسوحه : أهل الغواية والمفاسد باتوا

بطروا وراء وإثم صدوا معشرا : فى الله لم تعرف لهم رغبات

وهكذا كان للمعارك التى خاضها محمد أحمد المهدى أثرها الكبير فى قيام الشعر من كبوته ويقظته من سباته وقد قال بعض الباحثين : " إن الثورة المهدية نجحت فى استنهاض الوجدان السودانى فى أكبر ثوراته مستخدما مايحرك هذا الوجدان وقد اشترك الشعر السودانى (١) فى المعركة " ووجد كذلك من الشعراء فى أيام المهديه الحسين الزهراء والشيخ أبو القاسم أحمد هاشم والشيخ اسماعيل عبد القادر والشيخ محمد بن الطاهر المجذوب ، وابراهيم شريف الدولابى (٢) ومن شعر الحسين الزهراء بين يدى المهدى :-

برح الخفا ما الحق فيه خفاء : وتوالت الآيات والأنباء

ويقول فيها :-

جهل الولاة أمات دين محمد : وأهيله ماتوا وهم أحياء

---

(١) أصول الشعر السودانى ص ٩٦ - عبد الهادى الصديق .

(٢) شعراء السودان جمعه سعد ميخائيل سنة ١٩٢٤

وأما الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم فقد كان كاتبا للمهدى ثم بعد ذلك عينته الحكومة شيخا لعلماء السودان وفى عهده نهض المعهد العلمى بأم درمان نهضة عظيمة - وقد أجاد فى فنون الشعر وأغراضه ومن شعره فى الغزل قوله :-

الوجد ضاعف ضرى : والهجر أضعف صبرى
والظبى زاد نفورا : عنى وحير فكرى
وذا الهوى نلت منه : من بعد يسرى عسرى
ولم أنل من حبيبى : وصلا فيجبر كسرى
بلى ولا من شفيع : إليه يرفع أمرى
حتى أقول حبيبى : عساه بالحال يدرى

أما الشيخ اسماعيل عبد القادر فقد تخرج من الأزهر فى مصر وقد تابع المهدى أيضا وبعد وفاة المهدى كتب سيرته حتى فتحه الخرطوم سنة ١٨٨٥ م

ومن شعره فى المهدى قوله :-

الله أحيانا وأظهر دينه : وأولاه أفضالا ونصرا مؤيدا .

وهناك شاعر أخر هو الشيخ محمد بن الطاهر المجذوب وكانت

له مرتبه عالية عند محمد أحمد المهدى وحينما مات رثاه ابن الطاهر المجذوب بقصيدة مشهورة يقول فيها :-

دهتنا دواهٍ يُفْرس القلبَ نابُها : ويوقد فى الاحشاء نارًا منابُها

غداة نعى الناعون مهدينا الذى : به مِلَّةُ الاسلام جلّ مصابها

ويقول محمد بن الطاهر المجذوب فيها أيضا

إلى الله إنا راجعون هو الذى : إليه نفوس العالمين إيابها

هو الفاعل المختار باق وإنما : نفوس الورى جمعا اليها انقلابها

وقد كتب الشيخ ابراهيم شريف الدولابى من شعراء المهدى أيضا رثاء حارافى المهدى حين مات قال فيه :-

كيف التئام فؤادى المفطور : ورقوء دمع محاجرى المفجور

أم كيف ينفك الضنى عن مهجة : أحشاؤها تصلى على تنور

أسف على المهدى مهدى الصبا : قد كان معصوما من المحظور

فَتَحَ الفتوح ودمر الكفار فى : كل البلاد بجيشه المنصور

قد كان قوام الدجى متبتلا : متواصلَ الإحسان غير فخور

لا يبتغى جاها ولا مالا ولا : عز الملوك ولا ارتفاع الدور

وموت المهدى الفجائى قبل أن يحقق ماكان يقوله لأتْباعه بأن

العالم سيكون له بعد إتمام فتحه جعل شاعرنا يبحث عن تبرير لهذا الموت قبل بلوغ الغاية فأكمل قوله السابق :-

لما أبان السبيل ولم يدع : ايضاح منهى ولا مأجور
والدين عز وأهله بلغوا المنى : وتقلبوا فى نعمة وحبور
تاقت الى الذات العليه روحه : وسعت لمقصد صدقها المذخور
فمضى وأودع كل قلب حسرة : وحشا الحشا ببلابل وسعير

ثم تتالى الشعراء بعد عصر المهدية ونوّسن بالرأى (١) الذى يجعل الفترة الممتدة من معاهدة ١٨٩٩ حتى ١٩٢٤ فترة لها مميزات خاصة فى الشعر السودانى منفصلة عن الفترة السابقة لها والفترة التالية لها ويكفى أن نرى فى هذه الفترة شعراء يمثلون الشعر التقليدى الكلاسيكى أمثال عبد الرحمن شوقى وعبد الله عبد الرحمن ومحمد سعيد العباسى وعبد الله البنا وليس معنى ذلك أنه ليس هناك شعراء آخرون ينهجون هذا النهج ولكن هؤلاء الشعراء هم الذين نوعوا أغراض الشعر فلم يقتصروا على الشعر الدينى كما كان يفعل شعراء المهدى وإنما كتبوا فى أغراض شتى أخرى وامتاز شعرهم بخصائص الشعر التقليدى كما أعادوا للشعر العربى فى السودان الجزالة والأصالة والقوة والتزموا بعمود الشعر.

ومن الشعراء الذين حافظوا على الشعر القديم وكتبوا فى شعر الحماسة عبد الرحمن شوقى الذى نجده يعتز أيما اعتزاز بأجداده

(١) تيارات الشعر العربى فى السودان - د. محمد مصطفى هدارة

من العرب الصناديد الذين كانوا يعيشون فى الجزيرة العربية
وهذا الفخر إنما هو غرض من أغراض الشعر القديم هاهو
عبد الرحمن شوقى يقول :-

فحدث عن بنى النيلين قوما : بأدنى النيل أو أعلى الفرات
بأنا ننتمى حسبا ومجدا : إلى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم نحيا ولسنا : مثالا للشجاعة والثبات
وأن لا يبصروا فى النيل قرنا : ولا بطلا يعد من الكماة
يجود بنفسه للموت حبا : بنيل الباقيات الصالحات
فليس الجود بذل دريهمات : لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد : ليحيا أهلها بعد الممات
سلام الله ياعهد المواضى : وأيام الظبا والمرهفات

والشيخ عبد الله عبد الرحمن وان كان قد نبذ الاستهلال التقليدى فى القصيدة كما لاحظ ذلك ايضا بعض (١) الباحثين الا أنه يعتبر من أرق الشعراء لفظا وقصيدته التى ألقاها سنة ١٩٢١ تعتبر نموذجا لهذه الرقة المتناهية والشفافيه الباهرة وكان ذلك بمناسبة هلال السنة الهجريه الجديده سنة ١٣٤١ قال فيها :-

---

(١) تيارات الشعر العربى المعاصر فى السودان - د . محمد مصطفى هدارة

(١) تاريخ الثقافة د . عبد المجيد عابدين ص ٢١٢

أدرها بعد نَوْمات العشى : كميت اللوْن كالخدّ الوضى

مشعشعة بماء المزن رقت : كما رقت خَلائق أريحى

حواليها نواعم آنسات : نواعس ذات لحظ بابلى

ويقول الشاعر فيها :-

إذا ماليلة الميلاد وافت : رفعت لها العمار (٢) لكى أحيى

ومالى لا أحييها وأسقى : كرام الناس من هذا الروى

وما احتفلت مشارقها بعيد : كما احتفلت بميلاد النبى

نبى كان للدنيا جمالا : وذخرا للعديم وللغنى

أتى بالملة السمحاء يدعو : إلى الأخلاق والشرع السوى

ويستمر عبدالله عبد الرحمن في هذه القصيدة التى جسدت المعانى التى طرقها الشعراء من قبل فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاستهلال أيضا تقليديا اذ أن الشاعر فيه يغازل الخمر ويغازل النواعم الناعسات ولكن بأسلوب بعيد عن الحوشى من الالفاظ والنابى من العبارات .

أما محمد سعيد العباس فقد كان أحد الذين شادوا بناء الشعر

---

(١) تاريخ الثقافة د . عبد المجيد عابدين ص ٢١٣

(٢) العمار = الريحان

التقليدي الشامخ في السودان منذ أوائل هذا القرن العشرين وكان هذا الشاعر محافظا فنّا وواقعا فهو حين يصور حياته في البادية إنما لأنه كان يعيش هذه الحياة البدوية بما فيها من عادات وتقاليد وركوب للخيل وسفر بالابل وكرم وجود ومروءة وأخلاق الفرسان التي تتسم بالشجاعة والصدق والقوة . وقد كتب كما يقول بعض الباحثين (١) أروع القصائد في هذه البيئة ووجدنا الشاعر يستخدم نفس الأساليب القديمة في قصيدة له تحت عنوان " بنو أبي " :-

قفوا في رُبًا كانت تحل بها سلمى : فإني أرى هجران تلك الربا ظلما
أسائل رسم الدار أين ترحلوا : وهل أفصحت يوما لسائلها العُجْم
على أنه ماكاد يبقى لمدنف : بكاء الحيا الوسميّ رسما ولا وسما
منازل كانت للبدور منازلا : فأضحتْ لريم الوحش من بعدها ت...

وقد وجدنا رسوم الديار والمنازل وريم الوحش وكلها ألفاظ تتصل بالبادية التي كان يعشقها شاعرنا أيما عِشْق لجمال مناظرها

كأنباتِك العفْرُ ماأبهى مناظرها ٭ أنصُّ لذى وحشة رزقٌ لمرتاد
فباسق النخل ملء الطرف يلثم من : ذيل السحاب بلا كد واجهاد

وإن شاعرنا العباسي قد جال كثيرا في هذه الصحراء وخبر مسالكها وتعرف على دروبها وهو يحكي ذلك عن نفسه فيقول :-

---

(١) كريا في البادية " لحسن نجيلة يقول ص ١٦٩ " وشهدت مولد أروع

إلى كم أمنى النفس بما لا تنالـه : بجوب الفيافي و اِدّراع الفدافد

وقد رقد السمار دونى فهل فتى : يعير أخا البأساء أجفان راقد

وقد كان لأسرته مكانة دينية ومازالت هذه المكانة مستمرة كيف لا وأبوه محمد شريف باشا كان نقيب الأشراف ومميز عموم العلماء وشيخ الطريقة السمانية — وقد ورث شاعرنا كثيرا من الأدب الصوفى من هذا المنبع الثر مما ظهر أثره فى شعره مثل قولـه :—

ربِّ إن العباد ضلوا طريق الـ : ـحق واستمرأوا الغواية جـدا

وهـم اثنان عاجز مستكيـن : وقوى على الحقوق تعـدى

قد أطاعوا الهوى فكل قريب : مضمر للقريب والجار كيـدا

تركوا الله جانبا وأعـدوا : من نضاريهمو سواعا وودا

فبمن يحتمى الغداة ضعاف : عاث فيهم زمانهم واستبـدا

لا تكلنا إلى سواك وكن رب : معينا وأبدل النحس سعـدا

وهذه صورة جميلة لمجتمع سادت فيه البغضاء فالأفراد ينقسمون إلى قسمين قسم فقير عاجز وحاقد وقسم غنى متبطر يعبد المال ولا ينفقـه فى سبيل الله ثم نجد الشاعر فى البيت الأخير

يطلب الغوث من الله حتى يعود إلى المجتمع توازنه ويعتدل حاله ثم هو فى قصيدة أخرى يتبين فهمه الواعى للحياة وإن إيمانه بالقضاء والقدر لا يمنعه من العمل :-

لا أمل السرى ولا أترك السعى : أتكالا على المقادير تجرى
ومراس إحدى اثنتين فإما : عيش حر أولا فموتة حر

وتفرع من هذه المبادئ الدينية أخلاقيات الشاعر الأخرى المتمثلة فى فدائه بروحه لأهل النخوة والشهامة كما يقول :-

سأصفح عن هذا الزمان وما جنى : متى ظفرت كفاى منه بما جد
وإن الفه بعت الحياة رخيصة : وأثرته باثنين سيفى وساعدى

وشاعرنا محمد سعيد العباس لا يميل الى العبث أو المجون أو التأثر بالغير ممن يلهون لهوا غير برئ ويعبثون بالقيم والمقدسات هاهو يقول :-

فما بى ظماء لهذى الكؤو : س فطوفى بغيرى ياساقيه
طلبت الحياة كما أشتهى : وهم لبسوها على ماهيه
شروا بالهوان وعيش الأذل : ما استمرأوا من يد الطاهيه
فباتوا يجرون ضافى الدمقس : وبت أجرر أزيا ليه

على ثغر ما أرى همهبــنم : كهمى ولاشأنهم شانيــه

وهناك تضمين قد ورد فى البيتين الأخرين فقد أكمل البيــت الأخير معنى البيت قبلـه فلم تكن هناك وحدة فى البيــت وهذا نوع من العيوب التي ضمنها النقاد القدماء فى كتبهم النقديــة .

وإن الشاعر كما يصدر فى شعره من معين بدوى وعن معيـن دينى فكذلك هـو يصدر عن معين ثالث يروى وحدة وادى النيل - وأخلص مافى قلب شاعرنا هو حبه لمصر وذلــك لأنـه يرغب أن يبادلـهـا وفاء بوفـاء وقد أمضى سنتين فى زهرة شبابه يتعلم الفنون الحربيـة ليؤهل ليكون ضابطا وقد تتلمذ فـى مدرسـة الحربيـة فى آداب اللغة العربيـة فى أوائل هذا القـــرن على أستاذ مصرى من أبناء صعيد مصـر هو الشيخ عثمـــــان زناتى وهو يذكر لهذا الأستاذ أياديـه البيضـاء - يقول الشاعـر جامعـا كل هذه المعانـــى :-

رعى الله مصـر فكم للأديـــب : بها ثم من عيشـة راضيـــه

بنى مصـر حياكم ذو الجــلال : بعـرف تحياتـه الزاكيـــه

بكم عزت اليوم أم اللغـــات : كحسناء فى حلل ضافيـــه

حللتم بمصـــر والمشرقين : رسالة أدابـهـا العاليـــه

فمصر هى اليوم كل الرجاء : لنا وهى المرضع الحانيـــه

لها ولأبنائها الأكـرمين : أياد بنـا بـسرة آسيـــه

فيارحمة الله حلى بمصر : ضريح الزناتى عثمانيـــه

غذانى بآدابه يافعـــا : وقد شاد بى دون أترابيـــه

وكان لشاعرنا محمد سعيد العباس صديق معاصر له وهو الشاعر ابراهيم التليب الذى أشتهر بشعر صوفى له يقول فيه :-

سلبتنى مليحة الحسن لبى : وسبتنى بدلهـا والتأبـى

ودعتنى الى الغرام برمز : لو دعاه الجماد جاء يلبـى

فازلتنى لحاظها بانكسار : وانعطاف من القضيب الرطب

ورمتنى جفونها بسهام : قط ما أخطأت سويداء قلبى

يانديمى الى المدامة هيا : هيئ الكأس واستعد لشربى

وأدِرْها على صرفها فإنى : آلف المزج من مياه السحب

وأصطبح وأغتبق إلى أن ترانى : أجهل الفرق بين تبر وترب

حرك العود والرباب ونفّر : مزهر الأنس بابتهاج وضرب

وتبختر ما بين روض ونهر : وغصون زهورها ذات عجب

والصوفية حينما يذكرون الخمر والكأس والعشق فكلها رموز لمعان هم يهدفون إليها مثلا حينما يطلب الصوفى أن يدار الكأس ، فكأنه يتذكر حقيقة محو نفسه الترابية فى التأمل الالهى

وكذلك حين يتغزل الصوفى بذات الوجنات الموردة يذكر نفسه بذات الله المنكشفه فى صفاته وإذا ذكر الغدائر المسترسلة فكأنه يعنى الواحد المحبوب من الكثرة وهكذا ما نراه عند الشاعر ابراهيم التليب الذى ذكرنا وهكذا كان غيره من شعراء الصوفية يهدفون حينما يذكرون الخمر أو يتغزلون .

وقد بين شاعرنا محمد سعيد العباس رأيه فى شعر صديقه التليب وهذا الرأى إنما هو إظهار لاعجاب العباسى ذاته حين يرى مدى طواعية المعانى للألفاظ والألفاظ للمعانى للشاعر التليب فى شعر رثاه به ويقول فيه .

عبقرى يجلو المعانى كما يَخْـ : ـتارها فى البديع من أشعاره

ضاق صبرى بفقد من لو نعونى : وهو حى لضاق ذرع اصطباره

مابقائى من بعد أن راح صحبى : واستقل القطينُ فى نُهّاره

والشاعر محمد سعيد العباس فى شعره ينهج النهج التقليدى الذى يوصف أول مايوصف بالبساطة فهو منبسط كالبادية سهل كسهولتها ريّض كواحاتها لا يماطل فى كلامه وكذلك فهو لا يرق الرقة التى تذهب بنسيج ألفاظه فألفاظه متماسكة وأسلوبه محبوك ثم إن شاعرنا يتمسك بالأوزان وهو حين يتمسك بها يحتفظ لنفسه بصفة الشاعرية ويعتبر الخارج عن الأوزان ، خارجا عن دائرة الشعر وقد عبر عن ذلك بقوله نثر(١) :-

"إن انطلاقة الشاعر هى شعوره الحقيقى ولكن الشعر هو ماكان مطابقا للعروض"(١) - وشبيه بمحمد سعيد العباس فى السودان سابقه محمود سامى البارودى فى مصر فكما أحيا محمود سامى البارودى الشعر من كبوته فى شمالى الوادى . فكذلك فعل محمد سعيد العباس فى جنوبى الوادى .

---

(١) ذكر هذا الكلام د . أحمد عبد الله سامى فى كتابه الشاعر السودانى محمد سعيد العباس ص ١٠٠ على لسان سليمان كشه فى مقالة له بجريدة الثورة بتاريخ ٢٢/٢/١٩٦٣ .

الباب السادس

(أ) مع ديوان الشاعر عبد الله محمد عمر البنا

وشبيه بشاعرنا السابق محمد سعيد العباسى فى المحافظة على القديم وفى الفروسيه والمروءة والشهامه والقدرة على التعبير عن المشاعر فى طواعية وسلاسة وجزالـه شاعر اخر من نفس مدرسته هو الشاعر السودانى عبد الله محمد عمر البنا . ولا نستطيع أن نضع هذا الشاعر فى مستوى الشاعر التيجانى يوسف بشير فى صوفيته أو الشاعر صلاح أحمد ابراهيم فى رمزيته أو الشاعر محمد المهدى المجذوب فى روعة تصويره أو الشاعر محمد سعيد العباسى فى تقليده ولكنه يأخذ من محاسن هؤلاء ويزيد عليها اسرافه فى ارتباطه بعمود الشعر القديم لغة وأغراضا .

فقد طرق شاعرنا عبد الله محمد عمر البنا معظم الأغراض القديمة وصال فيها وجال - ولكنه لم يهج لأن لسانه عف وغير بذى ، ودينه قد حجزه عن اللجوء الى هذا السلاح فى الدفاع عن نفسه ضد حاسديه وشانئيه .

كذلك هو لم يطرق كغرض مستقل بابا شعريا قد لازم عصور الشعر العربى من قديم الا وهو الغزل

ولم نجده متغزلا الا فى ثنايا بعض قصائده وافتتاحياتها وهو

فى هذا يذكرنا بقول الشاعر الجزائرى " اللقانى " الذى يقول :-

ألا فدع التغزل فى غوان : فتلك طريقة المستهترينا

ويذكرنا أيضا بشاعر جزائرى أخر هو محمد (١) العيد خليفة

الذى لم نجد غزلا فى شعره .

ولعل خلوّ ديوان عبد الله البنا من الغزل (٢) كغرض

مستقل راجع الى أسباب أهمها الفهم الخاطئ لطبيعة الغزل

فهو قد ظنّ أن الغزل اذا أخذ كغرض مستقل فإنه ينقص من

مكانته كذلك فإن هناك أغراضا أخرى أولى ببذل الجهد من غرض

الغزل وهى أغراض اجتماعية ووطنية وسياسية . ولعل المعاناة

التى يعانيها الشعراء المحبون قد برئ هو منها ومن ثم لم

يرض أن يعبر عن تجربة لم يواكبها .

وكذلك فإن الشاعر قد يخاطب بشعره العقول كما يخاطب

العواطف وشعر الغزل يناسب العواطف هاهو يقول :-

---

(١) شاعران من الجزائر للمؤلف .

(٢) أشار الأستاذ على المك فى مقدمة الديوان تحت عنوان " الشاعر الديوان " لهذه الحقيقة .

ان صادفت أبيات شعرى قلب ذى : فطن على حكم النهى منقاد (١)

فلتبق الهناء فقد ظفرت بحاجتى : من سادتى وقضيت حق بلادى

فحكم النهى أو حكم العقل هو المستولى على نفسه ومن ثم فإن الموضوعات التى يطرقها موضوعات بعيدة عن الغزل .

وان كان هذ لا يمنع أن تكون هناك أبيات غزلية متفرقة هنا وهناك فى بعض قصائده ولكنه يتخلص منها بمباشرته للموضوع الأصلى . بخطى سريعة . وقد عاش شاعرنا فى أوائل (٢) هذا القرن الذى قال عنه بعض الباحثين (٣) إن الفترة التى تمتد من أوائله هى فترة التصدع فى الشعر السودانى وقد علل لهذ التصدع بأسباب ثلاثة هى : التفرقة التى صنعها المستعمر الانجليزى الذى أتاح بكلكله على البلاد والتفاوت فى المستوى الحضارى بين المدن والأرياف والصراع الفكرى بين الجديد المجلوب والقديم المتوارث وهذا تعليل قد لا يتفق مع النظريه النقديه التى تقول بأن الظروف السياسيه والاجتماعيه لا تتواكب مع الأدب رقيا وانحطاطا تواكبا مطردا .

---

(١) ديوان البنا ص ٧٧

(٢) لا زال الشاعر فى صحة جيده أطال الله فى عمره (وهو الأن فوق التسعين

(١) فى الشعر السودانى - د . عبد المجيد عابدين الدار السودانيه ص ٤٠ ، ٤١ .

وقد رأيت أن أتصل بشعر الشاعر مباشرة ولا مانع عندى أن أرجع إلى البيت كوحدة كما يفعل النقاد القدماء وإن كنت أرجع إلى زمنى الحاضر مرة أخرى وأنظر الى البيت مع غيره من الأبيات المعبرة عن موضوع موحد للشاعر وصل إليه من خلال مقدمة غزلية أو استهلال بكائى على الاطلال كما وأنى أنحنى إلى بعض الغزل الذى استهل به قصائده وانتزعناه انتزاعا لأنه غزل مؤشر موح بأذخ الألوان كما أننا سنتحدث عن غرض مهم عنده هو غرض العقيده وقد وجدنا ديوان الشاعر وقد ضبطه الأستاذ على الملك وكتب تصديرا له ووعد أن ينشر باقى الشعر فى جزء تال ، وقد رجعنا الى ماكتبه بعض النقاد من المصريين والسودانيين ، وأردنا هنا أن نضيف الى ماكتبوه لبنة فى بناء الأدب العربى السودانى الذى تعلو راياته على مر الأيام .

الأبيات الغزليه فى ديوان عبد اللـه البنـا

إن عبد الله البنا فى أبياته الغزلية يصدق عليه قوله فى مقدمته لطبعة ديوانه الأول سنة ١٩٢٢ : "والشعر ترجمان القلوب الحية وشفاء الصدور الممتلة ومجمع الفضائل وصقال الأغراض ومنقيها من أدران الرذائل - وإنك إذا نظرت إلى غزلياته أسرت بقيد الهوى وطربت لمواطن الوصال وجزعت لمطارح النوى - كيف لا ؟ وإنك تجد أثناء أبياته بدور الوجوه البلج تتألق وأقواس الحواجب الزج تتبرق وسهام العيون الدعج تومض وبروق الثغور الفلج تومض وورود الخدود فى جنات الوجود ورماح القامات فى ظلام الشعور ترشد وتتيه ورمان النهود على صحائف الصدور وكثبان الأعجاز ولذيذ الوعود وجميل الانجاز الى غير ذلك مما يفعل بالأهواء فعل الصهباء ويسرى فى اجزاء النفوس سريان الكهرباء".

فالشاعر هاهنا يبين أن الشعر الغزلى يأسر المستمع له ويطربه ويجعله فى حالة بين الاشفاق والشفقه . وان الشعر الغزلى قادر على أن يصور لك محبوبتك كأجمل ماتكون عليه المحبوبه

من الوجه المستدير المضىء كالبدر والحواجب المزججة والعيون الرانية والثغور الباسمة والخدود الموردة والشعر الأسود والخصور النحيلة ، وهكذا حين يصور الشاعر صورة المحبوبة بهذا التصوير الرائع فإنه يسكرك .

أنظر إلى شاعرنا يتغزل فى مستهل قصيدة له يمدح فيها الزعيم الدينى السيد / على الميرغنى - يقول :-

رعاك الله واضحة المحيا : ووالاكِ الحيا عنى وحيًا

فانظر إلى هذا البديع الذى جسمه فى الجناس بين كلمات ثلاث هى " المحيّا " فى عجز الشطر الأول " والحيا " و" حيّا " فى الشطر الثانى ومع أن هذه الكلمات المتجانسة كررت ثلاث مرات فى بيت واحد إلا أنها لم تكن ثقيلة على السمع فإن مادة هذه الكلمات الثلاث هى مادة لكلمة " الحياة " والحياة لا تكون إلا بالحب . ثم فى الأبيات التالية وجدنا الشاعر لا يقصر حبه على واحدة إنما يقسم نفسه للخرد جميعا وهو فى أيام صباه كانت تضحك له الدنيا فكيف لا يعين الدنيا على إسعاده ، يقول شاعرنا ،

وإن أنا بين بين الغيد أجنى : بلثم خدودها وردا جنيا

ويقـــول :-

سربت مع الهوى وقضيت عمرى : سعيدا فى محبتها شقيـــا

فالشاعر هو السعيد حين يلقى محبوبته وهو الشقى حين تهجره والمطابقه بين " سعيد " " وشقى " واضحة فى هذا البيت كمـــا تشعر بأنفاس الشاعر الحارة من خلال الابيات التى يتحدث فيهـــا عن هذا الوئام الذى ارتفعت أعلامه بينه وبين محبوبته .

وفى قصيدة أخرى له تحت عنوان " الأخلاق " نجـــد الشاعر يستهل قصيدته بالغزل المتعالى (إذا صح هذا التعبير) فهو يتساءل مندهشا عن الأسباب التى تجعله يشكو ظمأه باكيـــا تحت أقدام من يحب ولماذا يجعل نفسه تابعة للمحبوبة بينمـــا قد تعالت نفسه على الدهر ذاته وهو يظهر دهشته أيضا حين يرتعش من سهام العيون النجل بينما هو شجاع ثابت لا يريـــم فى ميدان الحرب . فكأن الشاعر يخاطب نفسه ويقول لهـــا أيتها النفس أنت ترقصين طربا من بسمة الغيداء ولكنك تترفعين على عطاءات أهل الجود والكرم فتكونين راسخة كالجبل لا يستخفك طرب العطاء كما تستخفك البسمة من الحسناء كما أنك أيتهـــا

النفس حين تتناوشك السيوف لا تفرين ولا تجزعين ولكن حين تناوشك المحبوبة بالهجر فأنت تتألمين وتشكين استمع اليه يقول :

إلام تشكو إلى الأحباب فرط ظما : وفيم تنثر من عينيك منتظما

وتتبع الغيد نفسا حرة أنفت : أن تخدم الدهر أو ترعاه إن خدما

وترهب النجل من عين المها جزعا : وأنت تقتحم السمر العلا قدما

ويستفزك من برق المباسم سمـ ـا : لا يستفزك من برق الندى شمما

تشكو النوى ألما من ظبية نفرت : ولست تشكو الظبا إن برّحت ألما

فهذا غزل فيه رقة المحبوبة وفيه تعال ورفعة مع غير المحبوبة فالشاعر لا يستبيح دموعه إلا من أجل المحبوبة ولا يتأثر الا بسهام عيونها ويتألم من فراقها ولكنه لا يتأثر من الغير أبدا . وهو يختم هذه الأبيات الغزلة المتعالية بقوله :

وربما نمّ دمع العين وهو دم : على جفاء الذى شوقى اليه نما

فالشاعر يبكى بالدم على جفاء المحبوبة ولكنه يعتبر سفح دمعه واحدة من العيون على غيرها عجزا لا مبرر له .

أما قصيدة الشاعر تحت عنوان " الى خصم تعليم المرأة " ،

فهناك أبيات غزليه مبثوثة بين أبيات القصيدة ـ ها هو يقول :

أعالج من هند صد ودا وفرقة : فلا دارها تدنو ولا الوصل يرجع

فهند محبوبته تهجره وتبتعد عنه كما ابتعدت دارها وهو يشكو من دلالها المتكاثر ـ وقلبها الأصم في قوله :

متى يظفر المشتاق بالوصل في الـ : هوى وذلك مزداد وقلبك أصمع

ويحاول أن يستثير في قلب المحبوبه الصفح والسماح .

وفي قصيدة له تحت عنوان "آلام الحياة كثيرة" يتحدث عن عشقه لسعاد وعن حبه للأخلاق الكريمة . وهو يفاضل بينهما وبين الشمس فالشمس تضيء الوجود في ظهورها ولكن سعاد حين تغضب فإن الدنيا تكون ظلاما حتى لو كانت الشمس مضيئة حوله ومن ثم فهو يرجوها أن تزيل عن حياته هذه الظلمات يقول الشاعر :-

أما سعاد فإنني بودادها : وهوى المكارم والعلاء متيم

أسعاد أي سعادة في الوصل قد : ذهبت بهجرك حين جد اللوم

أملت منك الشمس وهي تضيء ما : والت وما بيني وبينك مظلم

أسعاد آلام الحياة كثيرة : فإلام صبك ضارعا يتألم ؟

وعلام يبكي والخطوب جميعها : مما يراق على جوانبه الدم ؛

وهو هنا في البيت الأخير يستنجد بجزء من شطر بيت للمتنبي يقول فيه :-

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى : حتى يراق على جوانبه الدم

فالخطوب حول شاعرنا عبد الله البنا خطوب جسيمة يبكي الشاعر لهولها بالدم لا بالدمع - فكان من الأنسب لسعاد أن تخفف عنه آلام الحياة وأن تنجيه من مصائبها .

وله في قصيدة " تعليم المرأة " بعض الأبيات الغزلية .

وهذه الأبيات تدور حول زينب :

برزت وقد تبلت فؤادك زينب : حسناء تصبي للحليم وتسلب

فإن زينب الجميلة أخذت فؤاد شاعرنا ولو كان حليما رزينا ثابتا لتمكن حبها منه فإن جمالها معطل للتفكير ومبدد للوقار وسالب للنهى . وزينب أيضا حيية خجولة ودلها أصبح حارسا لها وهي اذا نظرت إلى شاعرنا فكأنها وضعت السيف على رقبته وإذا ←

ماتكلمت فكلامها السحر الا أنه نغم يذهب العقل وهكذا يضيع فكر شاعرنا بدون كأس — يقول الشاعر :

هيفاء قد عقد الحياء لسانها : وغدا الدلال لها رقيبا يحجب

ترنو فترسل للعقول صوارما : وتميس في ثوب الدلال وتسحب

واللفظ مثل السحر يستلب النهى : كالخمر إلا أنه لا يشرب

ثم نجد الشاعر في بيتين يصور سواد شعرها ويشبهه بالليل ويشبه وجهها بالشمس :

والشَّعر مثل الليل الا أنه : لم يبد فيه لمن تأمل كوكب

والوجه مثل الشمس إلا أنه : تلقاء ليل الشَّعر ماإن يغرب

وبعد هذا التفصيل نجد الشاعر ينتقل الى تصوير زينب تصويرا كليا فزينب كلها هي الشفاء للمريض والغيث للجديب وهي كالدنيا قربها حياة وبعدها ممات وما أسهل أن يقول الشاعر إن زينب وصالها قريب ولكن لا يتحقق هذا فعلا وزينب في سمائها كالأخلاق الكريمة في سموها يتعب المتمسك بها في دنيانا وهي في الحقيقة بعيدة لا يتمسك بها أحد . أنظر الى شاعرنا يقول :-

هى كالحياة لمدنف أو كالحيا : لمؤمل ولكنها هى أعذب

هى كالحياة منعم بوصالها : ومسهد بصدودها ومعذب

هى كالسعادة لفظها متيسر : سهل ومعناها قصى أجنب

هى كالفضيلة متعب مرتادها : تدنو ويدركها الدلال فتعزب

والشاعر فى أبياته الغزلية هنا التى جمعناها تدل على أنه يرى فى الرمز بالمحبوبة الوسيلة المثالية فى الدعوة لما يحب ويرضى فهو حين يشبه المحبوبة بالحياة والحياة هى الروح إذا ما افتقدها الانسان فلا وجود له ـ كذلك فحين يفتقد المحب محبوبته فهو قد تلاشى من الوجود ـ وهذا هو الحب الحقيقى الذى إن دان به صاحبه تحققت له السعادة المنشودة حين يتمسك بالفضائل وإن تعب فالتعب هو طريق الوصول الى النجاح والفوز - فهو حين يتحدث عن هذه المحبوبه حديثا حسيا إنما لكى يتحدث عما وراء هذا الحس من معنى الجمال ومن هنا وجدنا الشاعر يحاكى الواقع محاكاة فيها التسامى وفيها نبض المشاعر والوجدان مما يبعده عن أن يكون حاكيا كالآله التصويرية . وعلى هذا فقد حقق مفهوم

أرسطـــــو (١) عن المحاكاة من غير أن يتكلف لذلك أو يتصنع لــه

فكأن الشاعر فى غزله فعلا يحملنا معه فى سفينة الحـــب

ويجعلنا نشعر تماما بعز الهوى والوصال وبالام البعد والهجـران

ويمكننا من تصور الجمال فى المحبوبه وكأنها ماثلة أمامنا ترنو الـــى

محبها بعيون الغرام وقد بدأ وجهها فى جمال الشمس المضيئـة

وشعرهـا فى سواد الليل وكلامها فى رقـة الأنغام . وهذا الـذى

أتـى بـه شاعرنا فى ميدان الغزل ليس جديدا فان هذه الصـــور

التى عرضها لنا صور تقليديه ولكن الجديد فيها هو أنه استطـاع

بهذه المناجاة أن يخفف عن آلامه وأن يطهر نفسه فهو يخالف .

شاعرنا القديم أبا صخـر الهذلى الذى يصمت تماما حين يلقـــى

حبيبتـه أمـامـــه

---

(١) اقرأ (أ) فلسفة الجمال والابداع الفنى د . محمـــد
على أبو ريـان ، د . على عبد العظيم المعطى
دار المعرفه بالاسكندريه ، الجزء الخاص
بأرسطو من ص ٩

Literary Criticism - W.K. Winsatt P. 724 ( )

فما هو الا أن أراها فجاءة : فأبهت لا عرف لدى ولا نكر

وأنسى الذى قد كنت فيه هجرتها : كما قد تنسى لب شاربها الخمر

هذان البيتان لأبى صخر الهذلي قد أعجب بهما ناقدنا القديم قدامة بن جعفر فى كتابه " نقد الشعر "(١) مع أن الشاعر صامت أمام المحبوبة - ولكن شاعرنا عبد الله محمد عمر البنا لا يصمت وهو يتكلم وينفث مشاعره حتى يستريح بعد هذه الغضفضه وتلك المناجاة .

---

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، مكتبة الخانجى ، مصر ، ص ١٢٣ .

العقيـدة فى ديوان البنـا

الشاعر السودانى عبد الله البنا يصدر فى شعره كله عن معتقده فهو فى رثائه ومدحه واجتماعياته إنما يؤطر شعره بهذ الاطـار الموصل من الدين والعقيدة فهو لا يتكشف ولا يتبذل ولا يقذع انما هو صاف متلألئ - ومن ثم فإن فى كلامى تحت عنوان "العقيـدة فى شعر البنـا" لن أتحدث عن أغراضه كلها المؤطرة بالمذهب والعقيدة إنما أقتصر فقط على ماكتبه فى الرجال الذين دافعوا عن الاسلام والعقيدة أو على ماكتبه فى الأعياد والمواسم الدينيه .

وأول ما نلحظه فى شعره الدينى هو اهتمامه بهلال المحـرم الذى كان يستقبله كل عام بقصيدة ولعله فى هذا قد تأثر بحافظ ابراهيم شاعر النيل الذى قال عنه بعض (١) الباحثين إنه أول مـن سـن هذه السنة الحسنة من الشعراء إذ أنه حيى هلال محـرم سنة ١٣٢٧ هـ - ثم وجدنا شاعرنا عبد الله البنا بعده باثنى عشر عاما يحيى هلال محرم سنة ١٣٣٩ هـ - ويستهل هذه القصيـده بقولـه :.

(١) حافظ ابراهيم - ص ٧٦ "فن جديد ابتكره حافظ" بقلم د . زكى مبارك إعداد وتقديم كريمة زكى مبارك - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ياذا الهلال عن الدنيا أو الدين : حدث فان حديثا منك يشفينى

وهو هنا فى هذا الاستهلال اللطيف يقصد بالحديث الشافى

حديث الهلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان فى

المدينه المنورة .

وكم تفجر المصطفى بها كرما : عطفا ورفقا بـبادى الفقر محزون

وتذكر بها كذلك أمجاد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

واذكر ليالى للفاروق أرقـه : فيها التقى وحنان بالمساكين

وهو يطلب من الهلال أيضا أن يذكر دمشق أيام الأمويين وبغداد

أيام العباسيين فهو يقول عن بغداد :

وارمق بطرفك من بغداد داثرها :واندبْ بها كل ماضى العزم ميمون

ثم يقول عن دمشق وهو هنا يستدرك لأن المفروض أن يكون حديثه

عن دمشق أولا ثم عن بغداد بعد ذلك .

وقبلها ابك دمشقا إنها فجعت : بسادة عمروا الدنيا أساطين

والشاعر فى هذا يبين رأيه فى السياسة وأن السياسة ليست عنفا

وشدة وقسرا واستبدادا إنما هى كما يقول :

هى السياسة تأليف وبذل ندى : والرفق واللين كل المجد فى اللين

هى التى حكمها بين القلوب له : على رقاب الورى أمضى القوانين

والشاعر حين يقارن بين الحاضر وماضى الأمة الاسلاميه يحزن ويتألم :

إنى بكيت على ماض تكفل للـ : مجد الاثيل بفخر غير ممنون

ونجد الشاعر السودانى الناصر قريب الله يقلد شاعرنا عبد الله البنا

فى الإشادة بهذا الماضى حين حيا العام الهجرى ١٣٦٧ :

ألا ترى أن فى الماضى وان بليت : اثاره ثوب خلد ليس بالخلق (١)

وكذلك نجد الشاعر السودانى " مبارك المغربى " يشيد بماضى الاسلام فى

شعر له يحيى العام الهجرى ١٣٦٧ هـ .

آه من ماض مجيد خالد : كان ملء السمع ملء البصر (٢)

أما حاضر الامه الاسلاميه فعبد الله البنا يتحدث عنه وكله ألم واحساس (٣)

---

(١) الناصريات ، الناصر قريب الله ـ وزارة الارشاد القومى ، الخرطوم " يوليو سنة ١٩٦٩

(٢) عصارة قلب " مبارك المغربى ، الطبعة الثانيه سنة ١٩٧٨ ، وزارة الثقافه والاعلام السودانيه .

(٣) يقول د ـ محمد مصطفى هدارة فى كتاب " تيارات الشعر العربى المعاصر فى السودان " دار الثقافه ، بيروت ص ٩٩ " ان الاحتفال بالمناسبات الدينيه كان يهدف الى ايقاظ الشعور الوطنى" .

بالمرارة والضيق . ولكنه لا ييأس كما يئس حافظ ابراهيم قبله في قصيدته التي يتحدث فيها عن المحرم سنة ١٣٢٧ هـ :

هللت حين لمحت نور جبينه : ورجوت فيه الخير حين تألقا
وهززته بقصيدة لو أنها : تليت على الصخر الأصم لأغدقا
فنأى بجانبه وخص بنحسه : مصرا وأسرف في النحوس وأغرقا
لو كنت أعلم ما يخبئه لنا : لسألت ربي ضارعا أن يمحقا

فإن حافظ ابراهيم هنا يسرف أيما اسراف حين يلوم الهلال لأن هذا الهلال أتى الى مصر ومصر غارقة في الهم والحزن والنحس والشقاء المقيم .

ثم إن شاعرنا عبد الله البنا يتخلص برفق الى نصيحة قومه ويبين لهم طريق النجاة حين يشمعون إلى أمر بالمعروف ونهية عن المنكر .

أحبتي ودعاء الحب مرحمة : لا يحزننكم بالنصح تلقيني
فرب قول غليظ اللفظ باطنه : رحمة ولين بغظ الروح مقرون

"وغظ الروح" هاهنا نابية ليس لها وجه إذ أن الغظاظة أبدا لا تضاف الى الروح - حقا يبين الشاعر أن قسوته انما هي من

الشفقة والمحبة ولكن هذا لا يبيح له أن ينسب الروح وهى شفافة صافية رقيقة إلى الفظاظة والغلظة والقسوة .

ويستمر الشاعر فى التبرير لنصحه حين يخاطب قومه :

ترضون بالدون والعليا تقسم لا : تدين يوما لراضى النفس بالدون

والجد ينأى فلا تدنو مراكبـــه : من الجبان ولا ينقاد بالهون (١)

فالنفس التى تقبل الهوان لا تستحق أن تصل إلى المجد ولا تنقاد لها مراكب العلا والفخار - ثم يبين الشاعر عبد الله البنا أسباب المذلة والهوان ويلخصها فى هذا التناحر والتكالب على دنيانا الفانية والبعد عن العلم حين هجرنا المدارس وماتت الضمائر بل وإن البعض يتخذ الدين تجارة كما فى قوله :

وهيكل تبعته الناس عن سـرف : كالسامرى بلا عقل ولا ديـن

يحتال بالدين للدنيا فيجمعها : سحتا وتورده فى قاع سجيـن

ويلخص الشاعر الداء فى أبيات خمسة يختم بها قصيدته هذا الداء لأدواء المجتمع (٢) الذى يعيش فيه خليط من العقل والصبر والحزم والاحسان والعلم .

---

(١) فى هذين البيتين ما يبين أن الشاعر عبد الله البنا لم يكن يصانع فى أمور كثيرة كما يظهر فى كلام حسن نجيلة فى كتاب ملامح من المجتمع السودانى ٢٨

(٢) يبين لنا الدكتور عبده بدوى فى كتاب " الشعر الحديث فى السودان المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة أن عبد الله محمد عمر البنا (ليس له اهتمام بالشعب) وهذا يتناقض مع مانلاحظه من كثرة قصائد الشاعر الذى يهتم فيها بالمجتمع وإصلاحه

والأخلاق ها هو يقول :

تواضع وتأن واتباع نهى : والصبر والحزم أزكى فى الموازين

فأحسنوا إنما الاحسان واسطة : للعاملين به فى كل تمكين

ثم انشروا من شريف العلم أنفعه : فإنما هو مبنى كل تمدين

العلم زين وبالأخلاق رفعته : إن قارنته بدا فى خير تزيين

إن الخلائق إن طابت منابتها : كانت لكسب المعالى كالبراهين

والشاعر هنا يبدو كناظم وذلك لأن هذه النصائح التى بثها فى قصيدته نصائح لا تهز الوجدان ولا تحرك العواطف والمشاعر وإن كانت تملأ العقل - ومن ثم لو صيغت هذه النصائح نثرا لما كان هناك فرق بينها وبين صياغتها شعرا - والفرق بين الشعر والنثر الفنى يرتكز على لصوق الشعر بالوجدان والمشاعر والأحاسيس ولكن النثر الفنى يخاطب العقل أكثر مما يخاطب الوجدان .

ومن هنا فنحن نطلب من الشاعر الحق أن يلوذ بالوجدان وأن يلهب مشاعر المستمع اليه وأن يهزه هزا من الأعماق فالذى يخرج من القلب يستقر فى القلب وعلى هذا فإن التزام الشاعر بهذا الصدق الفنى إلى جانب الصدق الأخلاقى يخلق هذه الموسيقى الموغلة فى الغموض

المناسبة لهذا الشعور الباطني المختفى الذى لا سبيل لاظهاره إلا بالجو لهذا الغموض وليس بشرط فى الشعر أن يكون واضحا من السهل تفسيره - المراد - فقط هو أن يحسن الشاعر التعبير عن معاناته بهذه الصياغة الموسيقية التى تلتصق بحنايا الصدر ولم يكن شاعرنا عبد الله البنا فى تعبيره عن المعاناة شاعرا فرديا ذاتيا إنما هو يعبر عن نفسه وعن غيره فكان غيريا ذاتيا معا وإن كانت الغيرية هى التى أخذت المنحى الأكبر عنده ولا ينسى الشاعر فى قصيدته النونية هذه التى نحن بصددها أن يخاطب الهلال الوليد خطابا فيه من الخيال الشاعرى الكثير فنجده يشبه الهلال الوليد بحرف النون .

طلعت كالنون لا تنفك فى صغر : طفلا وأنك قد شاهدت ذا النون

سايرت نوحا ولم تركب سفينته و : وأنت أنت فتى فى عصر زبلين

وزبلين هذا هو المخترع للمنطاد وكان قد جربه سنة ١٩١٧ . وطار به فكأنه يريد أن يبين أن الهلال الذى شاهد نوحا هو هو الهلال الفتى الذى عاصره شاعرنا فى أيام اختراع المنطاد - وكانت هذه الحقيقة كفيلة بأن تجعل الهلال عجوزا - لا يبدو فتيا - ولكن

لأن الشاعر أراد أن يجعله حديد الذاكرة فمن الأنسب له أن يكون فتى حتى يحدثه عن الزمان الأول ولا يفقد شيئا من خزائن ذكرياته :

حدث عن الأعصر الأولى لتضحكني : فإن أخبار هذا العصر تبكيني

ولماذ يبكي الشاعر أحداث عصره ؟ ولماذا يفزع من زمانه هذا الفزع الذى يأخذ عليه أقطار نفسه ؟ إنه استطاع أن يجيب على هذه التساؤلات حين صبر - فالصبر يكشف الدفين ويبين المستور كما يقول:

بليتم وبلايا الدهر ان نزلت : فالصبر يكشف منها كل مدفون

أما الأسباب فتنحصر فى الضلال الذى تغرق فيه الأمة فيبعدها عن كل علم وعن كل هدى وإن غنى الغنى ليس فيه فائدة إذا لم تكن للغنى مروءة وإن قوة القوى لا تفيد حين تصرعه شهوات نفسه :

بأمة جهلت طرق العلا فلم : تسبق لغاية معقول ومخزون

وكلمة المخزون هنا أجبرته القافية عليها وهو يريد كلمة " المنقول " المناسبة للمعقول ثم يستطرد الشاعر :

فللمدارس هجران وسخرية : وفى المتاجر ضعف غير موزون

وللمفاسد إسراع وتلبية : ولا التفات لمفروض ومسنون

والناس في القطر أشياء ملفقة : فإن تكشف فعن ضعف وتوهين

فمن غني فقير من مروءته : ومن قوي بضعف النفس مرهون

فكأن الانسان في وطن الشاعر مجرد شيء "وهذا الشيء ملفوف على الضعف والوهن وقد تبين السبب في ذلك في بعده عن القيم والعقيدة والروح الوطنية . وقد قال بعض الباحثين (١) إن الروح الوطنيه لا توجهها إلا القيم الدينية .

وهكذا حين تحدث الشاعر عبد الله البنا عن مولد الهلال الجديد مزج بين القديم والحديث وتناول في يسر وسهولة الصلة المنقطعة بين الماضي المشرق والحاضر المظلم - وعلل لهذا الانقطاع ولولا العنوان المجود على رأس هذه القصيدة " تحية العام الهجري ١٣٣٩ " لألحقت هذه القصيدة بما يناسبها من أبواب الشعر الاجتماعي .

ولا زالت القصائد الدينية عند شاعرنا تتجه هذا الاتجاه الاجتماعي الذي يغرم به شاعرنا أيما غرام فهو شاعر الشعب قبل أن يكون الشاعر المعبر عن ذاته وفرديته ، وهناك أيضا للشاعر

(١) الشعر الحديث في السودان د . محمد ابراهيم الشوش بجامعة الخرطوم ، ص ٤٨ .

" تحية المولد سنة ١٣٤٠ هـ " ويستهلها بقولـه :

قف حاسر الرأس واندب سؤدد العرب : فإنها للمعالي أفضل القرب

فانظر الى هذا الاستهلال الحسير الذى يركّب فيه الشاعر مواقفه التقليدية المتبدية فى المقارنة بين الماضى والحاضر . وهو فى الجزء الأول من القصيدة يتحدث عن الاستبداد الذى كان طابع حياة العرب فى الجاهلية وكيف أنهم لم يمكنوا الفرس أو الروم منهم ثم يتحدث بعد ذلك عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الظواهر الكونية المختلفة التى أعلنت عن مولده عليه السلام ثم عن بعثته صلى الله عليه وسلم ودعوته التى كان أساسها التوحيد فربَّى الله تعالى الأمم على أيديهم حين فتحوها فها هى بلاد فارس وبلاد الروم والأندلس والهند والصين قد دانت لهم وانتشرت الحضارة الإسلامية مبددة ظلام الجهالات فى العالم القديم كله بفضل الاسلام ورجاله الذين :-

نالوا من المجد أعلاه مذ اعتصموا : بالله والدين فازدادوا من القرب

ووصف الشاعر هؤلاء الجند جند الله بقوله :

كانوا قليلا من الليلات ماهجعوا : والدمع يقطر والأحشاء فى سغب

زهدا وبعدا عن الدنيا وزينتها : خوفا من الله لاحيفا على أرب

وكعادة الشاعر وجدناه يتجه بعد ذلك الى حاضره وحاضر أمتة فيندب ضياع المجد السابق ها هو يقول :

ياليت شعرى " وليت " غير مجدية : هل للعلا عندنا والمجد من سبب

وهل نفكك أغلالا لنا عظمت : من الحقود وألوانا من الغضب

وهل ننال رضى المولى ورحمته : وهل نسير إلى الطاعات من كثب

ولكن من أين تحصل الأمة ومعها الشاعر على هذه الرحمة ؟ الشاعر يتمنى وهل ينفع التمنى مادامت الأمة تلهو - ونجد أن الشاعر يشكو من تفشى الفحشاء والنميمة وتعظيم من لا يستحق التعظيم والحقد على العظيم - ثم يعود ويخاطب صاحب المولد الشريف :

ياصاحب المولد الميمون دعوة من : كانوا من الدهر والأسواء فى كرب

لاوجه للعذر قد خارت عزائمنا : وأنت ملجؤنا الأوفى من النوب

الشاعر بذلك يعترف بإيكابر أنه لا يصح أن نعيب دهرنا والعيب فينا نحن

هـاهو يقول :

إنـا لهـوْنـا فما جئنـا بصالحـة
ولا ظفرنا بغير الغش والريب

وكم أكلنـا لحـوما مـن أقـاربنـا
والدين ينهى عن الفحشاء والغيب

وكـم خضعنـا لمـن قلـت اخفضوا ورفعـ
نـا من خفضت وخلنا ذاك في الحسب

صلـى عليك الـه العـرش ما اتصلـت
أواصـر الدين والآداب والنسـب

وهكذا يعود الشاعر فى آخر بيت ليصلى على المصطفى عليه السلام ومن ثم يذكرنا بأنه يقول قصيدة دينية فلولا ما فى القصيدة من أبيات متفرقة قليلة فيها هذا العود الأحمد لصاحب الذكرى عليه السلام لحسبنا أن الشاعر يدبج ببراعة قصيدة اجتماعية فى نقد المجتمع وذكر عيوبه وما تفشى فيه من أدواء .

وفرق كبير بين شاعرنا عبد الله البنا وشاعر آخر معاصر له هو مبارك المغربى فى قصيدة له فى تحية المولد - فمبارك المغربى لا يحيد عن الذكرى من أول بيت الى آخر القصيدة وهو من خلال التتابع فى ذكرى الرسول علية السلام نجده يبين ماعليه حاضر الأمة

ولا يخرج عن الموضوع ولا يبعد عن مضمون القصيدة - ها هو يستهلها بقولـه :

خير البرية قد ملكت زمامـي

وهتكت ستر محبتي وهيامي (١)

فانظر إلى هذه الافتتاحية المغرقة في الرقة والجمال وقارن بينها وبين افتتاحية شاعرنا عبد الله البنا في نفس الموضوع :

قف حاسر الرأس واندب سؤدد العرب

فإنها للمعالي أفضل القرب

هذه الافتتاحية الباكية الدامية التي تفجر في القلب عيون الندم والحسرة لا تتناسب مع ذكر المولد الذي استطاع مبارك المغربي أن يأتي باستهلال مناسب له ثم يحمل الشاعر لواء الرقة والجمال ويستمر في قصيدته هذه مغنيا :

الوجد شردني وأسهدني الهوى

وَسَلَبْتَنِي قلبي فعزّ منامي

فنظمتها - وحي الفؤاد - خريدة

تبقى بقاء خوالد الأيام

ويتحسس الشاعر مواضع الاعجاب في نفس الْمُتَلَقِّي لفنه ويظل يضرب عليها

---

(١) ديوان "عصارة قلب" للشاعر مبارك المغربي

ألحانه وأنغامه فيجعلنا نتمايل معه طربا وإعجابا واستحسانا

ها هو يقول :

وأتيت أشدو كالهزار مغردا
بين الأنام مجاهرا بغرامي

ثم نجده يقول :

الله يعلم أنني بك مغرم
جَمُّ الصبابة مفرط التهيام

ويعترف مبارك المغربي بعجزه عن إيفاء صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم حقه في المدح يقول :

من رام وصف محمد فمحمد
يعلو عن الأوصاف والأفهام
إن كانت الرسل الكرام كواكبا
فمحمد كالبدر ليل تمام

هذا وإن كان الشاعر المغربي لا يفتأ مقيدا بالموضوع لا ينسل منه في وصف واحد من أبياته إلا أنه أيضا يعوج بنا على ما أصاب أمتنا من هم مقيم وتهاون مقيت فيسلك مسلك شاعرنا عبد الله البنا في التحدث عن أدواء الأمة في حاضرها إلا أن البنا يتحدث عن هذه الأدواء كموضوع منفصل بينما نجد مبارك المغربي يتحدث عنها

من خلال القصيدة ذات الموضوع الواحد - ها هو يقول :

يامولد المختار هل من عـودة
لعدالة الخلفاء والأعـلام

الدين مات وليس فينا قـائـم
يحميه عند البأس بالصمصام

ويقول مبارك المغربي مستعملا كلمتي الاسلام والدين :

ويحي على الاسلام أين بهاؤه
والدين أين الدين أين الحامي ؟

يا أمة باتت بأسوأ حالـة
أكذا تكون نهاية الاسلام

والشاعر المغربي يستغيث بعفو الرسول صلى الله عليه وسلم :

أشفيعنا يوم القيامة حالنـا
بادي المساءة ظاهر الآثام

إن الذنوب كثيرة وعظيمة
لكننا للعفو جد ظوامـي

وكما يختم شاعرنا عبد الله البنا قصيدته البائية بقوله :

صلى عليك اله العرش ما اتصلت
أواصر الدين والآداب والنسـب

وجدنا الشاعر مبارك المغربى يختمها مستخدما نفس الألفاظ ونفس المعنى فكل منهما يطلب دوام الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن البنا يشبه الدوام بدوام التحام الدين بينما يشبه مبارك المغربى الدوام بدوام هبوب الصبا - يقول مبارك المغربى خاتما قصيدته :

صلى عليك الله ماهبت صبا

ياصاحب القدر الجليل السامى ء

أما قصيدة شاعرنا عبدالله البنا فى سيدنا عثمان رضى الله عنه فتذكرنا بقصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم فى سيدنا عمرابن الخطاب وتبدأ قصيدة حافظ ابراهيم باهدائها الى صاحب القصيدة فيقول فى قصيدته هذه :

حسب القوافى وحسبى حين أهديها

أنى الى ساحة الفاروق اهديها

لاهم هب لى بيانا أستعين به

على قضاء حقوق نام قاضيها

قد نازعتنى نفسى أن أوفيها

وليس فى طوق مثلى أن يوفيها

فمر سرى المعانى أن يواتينى

فيها فإنى ضعيف الحال واهيها

فهو يشعرنا فى هذا الاستهلال أن الشعر قد تشرف والشاعر قد تشرف بكتابة هذه القصيدة فى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن ثم فهو يسأل الله تعالى طالبا عونه ليكتب عمريته بما يليق والشخصية التى يكتب عنها .

أما شاعرنا عبد الله البنا فى عثمانيته فإنه يستهل قصيدته ب استهلالا يشبه التمهيد للموضوع - فمن المعروف أن سيدنا عثمان قد قتل مظلوما فوجدنا عبد الله البنا يتحدث عن الظلم وأثره وأن الظلم إن فشا فسد الدهر بما فيه فهذا الدهر الظالم قد أهلك ملوك الفرس والروم . ها هو شاعرنا عبد الله البنا يستهل قصيدته النونية فى سيدنا عثمان بن عفان بقوله :

ما رُمْتَ صفرا من الدنيا وسلوانا

إلا وأهدت لك الايام أشجانَا

فكلمة الصفر فى هذا الاستهلال يعنى بها الشاعر خلو اليد من الدنيا ولو خلت الكفُّ من الدنيا فإنها تستكثر أيضا هذا الخلو فتدمى القلب بتوالى الأحزان بدلا من الشعور بالسلوان - يقول الشاعر:

ولا نظرت لهذا الدهر مدَّكرا

إلا رأيت به للظلم برهانا

وإن شاعرنا قد شبه الظالم بمصاص دماء الأحرار هاهو يقول :

كلُّ امرئ ظالم تلقاه من شـــره

إلى دم الحر ملهوفا وظمآنا

وهكذا فان الظالم عبد لرزيلة شهوة الظلم وهو يتلهف للانتقام من الأحرار الأبرياء كأن هناك ثأرا بينه وبينهم - ويبيّن شاعرنا أن المظالم كلهـــا لو اجتمعت فى ظلم واحد لكان الظلم الذى حاق بأمير المؤمنين عثمـــان ابن عفان هو الأفدح والأكثر ايلاما - هاهو شاعرنا يقول :

وكل ظلم وإن جلت رزيتـــــــــــه

فلن يوازن ظلما نـــال عثمانا

وإن هذه المقدمة التى تشتمل على خمســة عشر بيتا مدخل جيد يتناسب مع المأساة التى عاش فيها أمير المؤمنين عثمان بن عفان وتركت آثارها على الدولة الاسلامية وقد آثر عبد الله البنا أن يتناول القصة ، العثمانية بترتيبها الزمنى المعروف ولكن "حافظ ابراهيم" فى عمريتـــــه لم يتحدث بعد تمهيده الذى ذكرناه كما تحدث شاعرنا عبد الله البنـــا بالتتابع المألوف . فحافظ قد انتقل فجأة بعد تمهيده إلى مقتـــل سيدنا عمر وكان المفروض أن يذكر اسلامه أولا

قال حافظ ابراهيـــم :ـ

مولى المغيرة لا جادتك غاديــــة

من رحمة الله ماجادت غواديها

مزقت منها أديما حشوه همم

في ذمة الله عاليها وماضيها

طعنت خاصرة الفاروق منتقما

من الحنيفة في أعلى مجاليها

فأصبحت دولة الاسلام حاضرة

تشكو الوجيعة لما مات آسيها

مضى وخلفها كالطود راسخة

وزان بالعدل والتقوى مغانيها

ولكن شاعرنا عبد الله البنا حين يتحدث عن انتقال عثمان إلى الرفيق الأعلى يسير على النهج المعروف ويتحدث عن وفاته في الأجزاء قبل الأخيرة من القصيدة - ها هو يقول مصورا كيف تسوّر قتلة عثمان داره وهو يقرأ القرآن وكيف قتلوه وقطعوا أصابع زوجه التي حاولت الدفاع عنه :

وإن شددت بحبل الله كفك ما

تباليت بالخلق أعداء واخوانا

تسوروا الدار حتى أقصعوك بها

وأوردوك حياض الموت عطشانا

وأوسعوا حنقا منهم ومعصية

بنان زوجك تجريحا واطنانا

هذا وإن كان عمر حين مات قد ترك دولة الاسلام وهى متماسكة قد عم أرجاءها العدل كما صورها الشاعر حافظ ابراهيم إلا أن شاعرنا عبد الله البنا لم يخرج عن الواقع وصور حال الدولة الاسلامية بعد مقتل عثمان وأبان أن كل المصائب التى أصيبت بها إنما هى من جراء مقتل هذا الخليفة المسلم بيد المسلمين

يقول شاعرنا عبد الله البنا :

ماذا جنوا بعد أن أردوا خليفتهم

وعفروا خده ظلما وعصيانا

تفرقوا شيعا فى شأنه وجرى

من ذلك الدم أنهارا وغدرانا

ويقول أيضا :

من أجل ذلك فر الملك متخذا

غير الحجاز له مأوى وأوطانا

وإن مقتل عثمان قد جرّأ الخوارج على طلب الخلافة هاهو يقول :

لولم يكن ذاك مانال الخوارج لا

ملكا ولا طلبوا فى الارض سلطانا

وهكذا كان اختلاف المسلمين على مقتل عثمان سببا فى الرضا بالهوان كما يقول شاعرنا :-

ذاك التفرق أغوانا وخفضنا

آدابنا وبأرض الذل أرضانا

أنظر إلى الجناس البديع بين " أرض " و " أرضى " ثم فى أبيات أربعة يختم بها شاعرنا عثمانيته نجده يبين أن من كان سببا فى إزالة روح الألفة والمحبة جنى عاقبة هذه الفتنه شرا وأى شر . ويا ليت هذه الفتنة لم تكن إذ لو أن الهدوء استتب لأشرق الدين ولعم نوره فى كل الأرجاء ولكن إلى الآن لا نزال نعانى من آثار هذه الفتنة التى حدثت فى القرن الأول للهجرة

يقول شاعرنا عبد الله البنا :

وهكذا من بنى سور الخلاف جنى

هدم التكاتُف تأسيسا وأركانا

أيام ذلك كان الدهر فى حرم

من الفضائل مزدانا وريانا

قد كان ذاك وللأقوام مزدحم

على الجميل زرافات ووحدانا

قد كان ذاك وشمس الدين مشرقة

على العباد فكيف الحالة الآنا ؟؟

نعم كيف حالنا نحن الآن أولسنا فى هذا القرن الخامس عشر الهجرى مازلنا نتجرع كأس الخلاف والافتراق والتشتت ؟!

وهذا البيت الأخير في عثمانية شاعرنا يشبه بيت حافظ ابراهيم في عمريتـه :

واهـا على دولـة بالأمس قد ملأت

جوانب الشرق رغدا من ايادیها

فبيت حافظ ابراهيم فيه توجع واحساس بالألـم وتصوير لهذا الاحساس أما عبد اللـه البنـا فقد وجدنا في بيتـه تقرير حال ليس إلا .

وقد قسم الشاعر عبد الله البنـا عثمانيتـه الى " مقدمة " و " عثمـان في آلـة وعشيرتـه " و " إسلام عثمان وآثاره على الاسلام " و " منزلتـه عند النبـي عليه الصلاة والسلام " و " أولياتـه في الاسلام " و " أياديـه البيضاء في الاسلام " و " خلائقـه وسيرتـه بعد الخلافـة " و " الفتنـة وأسبابهـا " وثباتـه " و " مانشأ عن قتلـه من الأحـزان " .

وقد استطاعت القافية أن تسعف شاعرنا عبد الله عمر البنـا ليكتب هذه القصيدة الطويلة ولم تفسد عليه الأفكار ولم تضيـق عليه حرية التعبير ـ وهذا يدل على تمكن شاعرنا من لغتـه وتعمقه في فنـه .

وقد أكثر شاعرنا عبد الله البنا من قول الشعر في العقيدة وهذه النماذج التي سطرناهـا لـه تبين كيف أن شاعرنا قد اتخـذ العقيدة معبرا للمقارنة بين الماضي والحاضر ومحاولة إصلاح مافسـد من حال المجتمع بأسلوب جزل جميـل .

ولعل الشاعر عبد الله محمد عمر البنا بعد الذى عرفناه عنه يعتبر من رواد الشعر السودانى فى ميادين عودته الى جزالته وفصاحته والتزامه بعمود الشعر وقد عبر الشاعر بموضوعية عن أحاسيسه ازاء شخصه وازاء الجماعة التى يواكب حركاتها ويرصد ماضيها ويتطلع الى مستقبلها المشرق الوضاء اذا التزمت فى حياتها .

وقد كان شاعرنا تقليديا حين التزم بالتراث ولم تنزع القافية عنده ولم يلتو البحر معه كذلك فقد ركب فى سفينة التمسك بالقيم ولم يغو مع الغاوين فنشطت همته حين دعا فى كل بيت الى العودة الى منبت العز ومنبع الفضائل وركيزة التقدم ألا وهو الاسلام . ومن هنا وجدنا شعر المدح عنده فهو لا يمدح الا بمن التزم بالحق وسار على نهج التقى ومد يده للأخذ بيد الشعب الى مجالات .

العلم والترقى وأسباب الحضارة ـ وقد لجأ الى التاريخ يستنطق شخوصه ويحيى مواتة فيوقظ بذلك النائمين ويحيى هم الغافلين ليأخذوا من الماضى عبرة حتى يقيموا حاضرهم على أساس متين من الرشد واليقين . ومن ثم فان المستقبل الشرق ستلوح فى الأفاق شموسه وترتفع راياتة وان الخلفاء الراشدين من وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القدورة والأسوه علينا أن نتأسى بهم فى حركاتنا وسكوننا لتنهض الأمة وتستعيد مجدها وسؤددها .

كما أن شاعرنا كان مبدعا حين لاذ بالوجدان يستفتيه قبل أن يستفتى المنطق فجاء حكم العاطفه شبعا بالحنان والرأفة مغلفا بالرقه والحساسية يبكى للظلم حين يقع على انسان ويبكينا معه ويطرب للجمال ويتغنى بسطوته وفعله فى القلوب .

ولم يترك الشاعر واقعة فأنشدنا إياه وهو لم يرحم المفسدين

والفاسدين وقد بين مغبة ترك المدارس مهجورة وانتشار الفساد ،
والتغطية على القبح والشر وعدم كشفهما ثم بين أن معظم الأغنياء
فقراء في المروءة وأن معظم الأقوياء ضعفاء النفوس وضرب الأمثلة على هذا
كله .
ومما أخذناه على الشاعر في بحثنا هذا كونه واضحا كالشمس مضيئا
كالنهار لا يرمز بكلمة ولا يغطي معنى - ومن هنا أسرعنا الى فهم
مايقول دون عناء - وهذا - قد يكون محمودا عند هؤلاء الذين
ينظرون الى الشعر كمعان وأفكار وعظات وحكم ولكنه عند أهل التذوق
للجمال الصياغة والشكل والموسيقى فانهم لا يجدون في هذا بغيتهم
فهم يعشقون الرمز ويهيمون بالغموض ويجدون أن غموض الشعر يدنيه
من الموسيقى وكلما اقترب الشعر من الموسيقى عندهم كان هذا
قمة الجمال وروعة الفن وصدق الاحساس بما في الأيس والليس
والوجود والعدم .

وعلى كل فليس من السهل على شاعر مهما أوتي من قدرة
أن يرضي كل الأذواق ويكفي شاعرنا عبد الله محمد البنا
شيخ شعراء السودان فخرا أن غنى ماضينا وسجل
مافي حاضرنا وتطلع الى مستقبل مشرق .

كل هـذا تـم بأسلـوب بلـغ مـن الجـزالـة أوفـاهـا وبألفاظ بلغـــت في الدلالـة أقـواهـا . ونرجـو أن يتمكـن الأستاذ علي الصـك من نشـــر بقيـــة ديوان شاعرنـا حتى يتمكـن المتشوقـون الـــى شعـــره مـن الارتـواء مـن مناهلـه العـذبـــه .

(ب) الشعر الديني عند مبارك المغربي

مبارك المغربي شاعر سوداني جذبنا إلى شعره اقترابه من قلوب الناس فهو في شعره يغني غيره ويغني نفسه وبذلك لاقى شعره انتشارا بين أوساط جميع الطبقات . وقد امتد نشاطه الى المسرحية الشعرية وكتب " رجل من أهل الجنة - بلال بن رباح" وقد سار في مسرحيته هذه على نهج أحمد شوقي وعزيز أباظة في مصر وحسين سراج في المملكة العربيه السعودية - وقد ناقشنا هذه المسرحية في الباب الثالث والمغربي في شعْره كله ينزع من معين ديني يرقى الى سمو روحي يغلف به فلسفته الخاصة البسيطة في حياته وحياة وطنه .

ومن هذا المعين الديني أخذ أغراضه الشعرية كلها المتصلة بالقوميه والوطنية والغزلية والفلسفية .

وقصيدة مبارك المغربي " إليك المتاب "وهي قصيدة لامية عدد أبياتها مائة وتسعون بيتا في ملحمة من ملاحم الشعر العربي الحديث وقد قسمها - الشاعر إلى تسعة أقسام القسم الأول تحت عنوان " البداية " يستهله بقوله :

هل إلى العود يا الهي سبيل

بعد رحلتي وزادي قليل

واحتوتني الهموم من كل صوب

وطواني الأسى الممضّ الطويل

ويواصل الشاعر شرح حالة ويعلل لكثرة همومه بقوله :

أنا ضيعت في الغواية عمري

يالعمر قضاه مضني ذليل

وفي نهاية البداية يعلن الشاعر أن الفرار إلى الله هو أسلم
وسيلة للنجاة من العذاب والآلام :

إن يكن في الركاب حظي كئيبا

لم يزل في رحابك التأميل

فإليك الغداة وجهت رحلي

راجيا منك أن يطيب الرحيل

وقد عبر أحمد شوقي أمير الشعراء عن المعنى السابق تعبيرا
أرق وأجمل من تعبير المغربي حين قال :

جنيت بروضها وردا وشوكا

وذقت بكأسها شهدا وصابا

فلم أر غير حكم الله حكما

ولم أر دون باب الله بابا

وهكذا تدنّى تعبير المبارك فى هذه البداية ولم نجد فى دعائه حرارة الضراعة ثم حين ننتقل الى الجزء الثانى من هذه الملحمه بعنوان " مناجاة نجم الشاعر " يتسامى بروحه إلى مناجاة الذات العلية مناجاة حلوة فيها تبيان للآيات الكونية التى أبدعها الخالق سبحانه وتعالى . وهذه الآيات الكونية تظهر فى أنه سبحانه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وينزل الغيث ويمحق الباطل كما ظهر ذلك فى قول شاعرنا :

صنعك الرائع البديع تجلى
معجزات تتيه فيها العقول
تولج الليل فى النهار فيصحو
من عميق البيان فجر جميل
وتحيل النهار ليلا فيمتد على الرحب جنحه المسدول
والمصابيح بالضياء تزين الكو
ن سحر ماسه تجميل
تنزل الماء بالرخاء على الأر
ض فتحيى ماقد طواه الذبول

تمحق الباطل المذل ويمضي

كيفما شئت أمرك المفعول

وفي البيتين الأخيرين من هذه المناجاة تجد القافية قد غلبت الشاعر فهو يريد أن يبين أن كلمات الله تعالى ليس لها من نفاد فاستخدم كلمة " تبديل " لتدل على "نفاد" - وهذا ، مستحيل - يقول الشاعر

قولك الحق ليس أبلغ منه

كلمات ماطالها تأويل

ينفد البحر قبلها وهي تبقى

أبد الدهر مالها تبديل

وقد اقتبس الشاعر المعنى السابق من قول الله تعالى "قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا" -

وهذا الاقتباس من كتاب الله تعالى ليس اقتباسا لألفاظ كريمة فحسب - ولكنه أيضا اقتباس لمعانٍ شريفة - والشاعر بين الفينة والفينة يلتفت هذه الالتفاتة الإيمانية ليضيء أبياته التي يصوغها بنجوم من الإسلام تتلألأ على جبين شعره.

ثم نأتى الى الجزء الثالث من القصيدة وهو تحت عنوان

(ابتهـــال)

فى هذا الابتهال نجده ينتقل نقلة أخرى إلى الدعاء فهـــو يدعو اللـه تعالى أن ينقذه مما هو فيه وهو فى هذه المناجاة ، قدس الذات العلية ثم دعاه سبحانه لكى يكشف عنه الكـرب وهو يكرر الكشف عن ضعفه أمام المغريات فى مثل قولـه :

إن دعانى الهوى فكلى انصيـــاع
أو دعانى الهدى فإنى مطول
أبصر السحر فى الجمـــال فيسـ
ـبينى ويغرى الفؤاد طرف كحيل

ثم يقول مستجيرا ومستغيثـا وداعيا : ـ

وإذا ما الفتى احتوته المـــآسى
ما الذى يفعل الفتى أو يقول ؟
غير أن يسأل الإلـــه نجـــاة
من عذاب حسامه مســـلول .

والعذاب ذو الحسام المسلول هنا تعبير بديع لهذا التهديـــد المستمر من هموم الدهر وكربه .

ثم فى الجزء الرابع تحت عنـــوان :

...(الـــرسالا ت)...

نجد المغربى يبين أن أبا البشر آدم عليه السلام حيـــن عصى ربه نَسِيَ إتمام ما فى كتاب الله حين تاب الله عليـــه واجتباء اليه وهدى وعبر الشاعـر المغربى عن هذا العصيـان بأسلوب فيه قسوة لاتليق أن يتوجه بها ابن إلى أبيـــه أو حفيد الى جده فيقـول :

منـذ أن جاء آدم كان نهبـــــا

للمعاصى يسعى بهاالضليل

قد دعاه الشيطان فانصاع للأمر

بر مجيبا يحدوه عقـل جهول

فانظـر إلى الشاعر وقد بين أن أبا البشر أحاطت به المعاصى وأنه انصاع للشيطان واستجاب للجهالة وكان من الارفق أن ، يأخذ ساخرين أخذ ابن شفيق وبعد أن وجدنا الشاعـر قد أخذ على آدم مافعلـه يسترسل فى ذكر رسالات الأنبياء ويبين أن قصصهم :-

قصص كلها جـلال وذكـــــر

شاق فيها التذكير والتفصيل

وفى الجزء الخامس (حصن مكـــــة)

نجده يذكر العكبه ومن بناها ثم يتحدث عن قريش وكيف كانوا معاندين ثم تمت هجرة الرسول عليه السلام ونام علـى فى فراشه ورافقه أبو بكر ثم نزلا يثرب .

حبذا الدار أكرمت خير داع

عـز قوم بالأكرمين حقـول

ثم عادوا فكان أحمد عود

شـع منه الهدى وبان السبيل

وقد استخدم الشاعر الألفاظ السهلة المعبرة عن أحاسيسه ازاء تجربته الخيالية فى مرافقه الرسول عليه السلام وصاحبه أبى بكر الصديق فى الهجرة من مكة الى المدينة .

ثم قفز الشاعر قفزة كبرى حين انتقل فجأة مختصرا سنوات عديدة قضاها الرسول عليه السلام فى المدينة ليعود الى مكة فاتحا ومعه المسلمون أنصارا ومهاجرين وتم الفتح سلما لا حربا ـ وكان هذا العود الى مكة المكرمه هو العود الأحمد .

أما القسم السادس فتحت عنوان .

... (حمى يثرب) ...

ويستهله بقوله :

لك ياروضة النبى سلام

ملؤه الحب والوفاء النبيل

وهو يذكر مقام الرسول عليه السلام بها ثم انتقال الرسول عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ويذكر الخلفاء الراشدين الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وهو يذكر فضل كل خليفة فى بيت واحد ويذكر لعثمان فضله فى جمع القرآن

ولعثمان جامع الذكر ذكر

ليس ينسى كما رتل التنزيل

ولا شك أن عثمانية عبد الله محمد عمر البنا التى تحدثنا عنها فى الصفحات السابقة تبين فضائل عثمان جميعها مما أغنى تماما شاعرنا المغربى عن تكرارها - ويبتهل المغربى فى نهاية هذا الجزء إلى الله تعالى فى أن يعيد أيام المجد هذه :

تلك أيامهم فهل من يعيد

بعض ماخلد الدعاة العدول

وانتقل الشاعر المغربى بعد ذلك الى الجزء السابع من هذه الملحمة تحت عنوان (العرب والعروبة) ...

يقول فى آخره :-

كل سعى لنصرة الدين خير

وإلينا به الحقوق تؤول

إن دين الإله بغيتنا الكبرى

فإن عاد عاد ماض نبيل

ويختتم هذا الجزء بقوله :-

قل لمن غيروا الطريق فضلوا

سنة الله مالها تحويل

والشطر الأخير يذكرنا بقوله تعالى "ولن تجد لسنة الله تحويلا" أى أن العرب لن يستعيدوا قدسهم الشريف إلا بالرجوع إلى الله والاعتصام بحبل الله والتمسك بدين الله

وهكذا يحمل شاعرنا راية الثورة ويستطيع أن يفتى برأيه فى المشكلات التى تواجه عالمنا العربى والاسلام وهو لا يرى إلا القوة وسيلة لاستعادة الحقوق كما قال أبو تمام قديما :-

السيف أصدق أنباء من الكتب

فى حده الحد بين الجد واللعب

وفى الجزء الثامن تجد المغربى تحت عنوان (دعاء) ...

بعد هذه الرحلة الطويلة يكرر نظراته فى معالم الاسلام ونجده يسلم الأمر لله ويبين أن الانسان لا حول له ولا قوة وأن الهدى هدى الله وأن الله تعالى هو الذى يحفظ للشعب وحدته - ها هو يقول :

رب جئناك تائبين منيبيـ

ـن إليك والنفس حسرى ثكول

فأرحنا من المفاسد إنا

لك هدنا أنت المعين الوصول

وكلمة (هدنا) بمعنى عدنا - ثم يقول

أقر دربنا على سنن الشـ

ـرع فللشرع نعمة وشمول

وإقامة الحياة على أساس الاسلام يجعلها حياة كلها سعادة وطمأنينة وحفظ للوحدة التى يدعو لها مختتما هذا الجزء بقوله :

واحفظ الوحدة المتيدة للشعـ

ـب ففيها المستقبل المأمول

والجزء التاسع تحت عنوان (النهايـــة) ...

ونجد في هذه النهاية دفء الإخلاص وروعة الضراعة والتوبة النصوح ها هو يقول :

وإليك المتاب من كل ذنب

ورجائي منك الثواب الجزيل

رب هبني الرضا فأنت وليي

أنت نعم المولى ونعم الوكيل

وهذه الروحية التي كست هذه القصيدة التي تدل على الرقة المتناهية في وجدانه وعمق إيمانه وهذه القصيدة الطويلة لم يضطرب للمغربي منها بحر ولم يكسر فيها وزن ولم تختلف قافية مما يدل على طول باع الشاعر في ميدان الشعر التقليدي وقدرته على تطويعه على التعبير عن مختلف المشاعر والأحاسيس وهو في هذه القصيدة يذكرنا بقصيدة أحمد شوقي تحت عنوان "كبار الحوادث في وادي النيل" وإن كان أحمد شوقي قد تحدث عن تاريخ الاسلام وغيره بينما اكتفى شاعرنا مبارك المغربي في ملحمته هذه بالحديث عن صدر الاسلام ومعالمه ومواقفه .

وكانت مناسبة هذه القصيدة ، أنها قيلت في العشر

الأواخر من رمضان عام ١٣٩٧ هـ ومن ثم فقد اكتست هذا الرواء .

ومن شعره الديني قصيدته الرائية وهي تعتبر قصيدة فريدة في بابها وهي آخر ما أنتجته براعة الشاعر من الشعر الديني وعنوان هذه القصيدة هو "تحية المحرم والعروبة والاسلام في القرن الجديد"

يستهل الشاعر هذه القصيدة بقوله :-

مرحى دعاك الهدى هذى منابرُه
هشت اليك وقد شعت منائرُه

وازّينت بجميل الوشى ساحتُه
لاحت لها بعد ما ازورت بشائره

ثم وهو مازال في البداية يبين أن شعوره الديني الصادق هو الذى أملى عليه هذا الشعر

ما الشعر إلا شعور صادق فمتى
هاجت دواخله جاشت خواطره

ثم إن ذكريات الأمس لن تعود ولكنه لا ينساها :-

هات اسقني من رحيق الأمس رَيّقَه
فلن يعود زمانٌ بأن غابره

لم أنسه فهو في الوجدان مسكنه
هيهات يَنْسى قديمَ العهدِ ذاكرُه

ويقدم شاعرنا أسفه فى هذه المقدمة على ماقدمته يداه حين استجاب لدواعى الهوى وندىّ الصوت وجمال العيون فى شبابه الغابر ومن ثم فالآن وقد تقدم به العمر يرجو من المستمعين أن ينصتوا الى صوته حين يقدم قصيدته ، بين يدى القرن الخامس عشر .

فلترهفوا السمع إن الركب مقترب

حينا وفى الركب حاد يه وشاعره

ثم فى جزء تال من هذه القصيدة وجدنا الشاعر يحكى قصة الهجرة وما فيها من مصاحبة أبى بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما حدث فى الغار وصوّر وصولهما إلى يثرب وانتقل الشاعر بعد ذلك إلى فتح مكة وكذلك تحدث عن الإسلام فى ربوع العالم ولعل الشاعر حين قال :

عم الأنام ضياء لا نظير له

وأين توجد فى الدنيا نظائره

أعزه الشرق فانصاعت أكاسره

وهابه الغرب فانقادت قياصره

إنما قصد الرسول عليه السلام وقد انتشر الاسلام فى شبه جزيرة العرب كلها فى عهده ثم قام خلفاؤه بعد ذلك فى نشر

الإسلام شرقا وغربا ولكن فى البيت الذى يقول فيه "أعزه الشرق" وجدناه يُرَقّى ألفاظهُ رصّا لمجرد إقامة الوزن فكأنه بذلك يقوم بعطيةِ نظمٍ" لاعطية شعر فعطية النظم بعيدة جدا عن الشعر الذى هو تعبير عن المشاعر والأحاسيس .

وفى القسم الأخير من هذه القصيدة نجده يتحدث عن مقدم . القرن الخامس عشر وكيف أن هذا القرن الجديد وإن كان الشاعر يرحب به إلا أنه لايخلو من شعوره بالألم لأن فلسطين مازالت فى أيدى الباغين وكذلك فإن القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين يئن تحت وطأة الاحتلال الذى توهم أنه قادر على اغتصابها وجعلها عاصمة له :

فهذه القدسُ وا للقدسِ حل بها

من المضلين قالى الصدر واغرُه .

أتصبح القبلة الشماء حاضرة

للمفسدين وينسى الثأرَ وأُثِره

وهو يتفق مع الشاعر السعودى حسن عبد الله القرشى فى أن الفرقة هى سبب ضياع القدس وغيرها يقول شاعرنا المغربى -

لن تستقيم لنا حال وبغيتنا

هذا الصراع الذى تُخشَى مصائرُه

قد باعدت بيننا الأهواء واتسعت

دنيا الشقاق وغض الطرف ساهره

وفرقتنا وقد ضج الحصى حججٌ

من الخلاف الذى كنا نحاذره

فالشاعر هنا بأسلوب لا تكلف فيه يبين أن حاضرنا لن يشرق مادامت هناك اختلافات وتنازع شخصى بين الزعامات وحجج ليست بحجج لأن الفرقة لا حجة لها . بينما نجد القرشى يقول مخاطبا العرب:

وحّد والرايات طُرًّا إنما

فى شكاوى الوحدة نجتاجُ الطلايا

لا تخاليها عنت راياتنا

لن يهونا العُرب ولن يخشوا حِمَاما

ثم يبين القرشى أن الشتات هو الذى أعطى الصهاينة الفرصة لكى يصولوا ويجولوا ويحققوا ما يريدون

نحن بالفرقة أوليناه ما

ليس يُولَى ومنحناه الوثايا

فكل من القرشى والمغربى يضع يده على موضع الداء ولكن علاج المغربى يتضح فى صورة بسيطة لا رتوش فيها ولا ظلال

أما علاج القرشي فيه ألوان ولمسات من التصوير الذى يضج بالحماس. فالقرشي لا يقول أوقفوا الشحناء كما يفعل المغربي ولكنه يقول فلتكن رايتكم واحدة ترنو إليها أبصاركم جميعا وتستظلون بها فى اندفاعكم لاسترجاع القدس السليبة[1]

وتبدو كلمة "ماكره" فى قصيدة المغربي فى هذا الجزء من قصيدته وكأنها رصّت لتسد الوزن والقافية والروى

لن يستفيد سوى الأعداء من فتن
نشقى بها كى ينال السبق ماكره

وهكذا نجد شاعرنا مبارك المغربي فى شعره الدينى يمثل طفرة فى تتويج اللقاء بين الشاعر الخاصة وبين التعبير النقى الصافى عن هذه المشاعر . ويكفى شاعرنا مبارك المغربي فخرا أنه من الرواد الذين أدخلوا الشعر المسرحى بالسودان على طراز أحمد شوقى وعزيز أباظة الذى كان يقول عن مبارك المغربي .

فأطربنا بسحر مغربى
وغنّ روائع الأشعار فنّ

---

(١) اقرأ للمؤلف كتاب "مع الأدب المعاصر فى المملكة العربية السعودية"

وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين رأيه الواضح في مبارك المغربي حين قال "فالأستاذ مبارك المغربي من شعراء المدرسة التقليدية المعاصرة ومع ذلك لا يخلو ديوانه من شعر يتطلع فيه الى المدرسة التجديدية[1]".

وقد درسنا رواية مبارك المغربي المسرحية "رجل من أهل الجنة - بلال بن رباح" في الباب الثالث من هذا الكتاب.

---

(١) مقالة للأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين بجريدة الاستقلال عام ١٩٥٥ .

الباب السابع

مع التجاني يوسف بشير

وهناك طائفة من الشعراء الابتداعيين في السودان قامت على ألسنتهم الكلمات التي تعنى بالشكل والصورة والطبيعة والنفس والشعب وهؤلاء الشعراء الابتداعيون يغنون أحزانهم وآلامهم بل يغنون أيضا آمالهم وهم يجنحون إلى الطبيعة يجدون فيها العزاء والسلوى وقد يَنْشَجُون آلامهم وآمالهم إلى داخل نفوسهم وكل شاعر من هؤلاء الشعراء الابتداعيين يجد في نفسه عالماً أكثر اتساعا من عالم الطبيعة حوله فنجد التجاني يخاطب الأديب وكأنه يخاطب نفسه قائلا :

أنت يارائد القريض وما أنت

بسقط الورى ولا من رعاعه

فالشاعر في نظر التجاني هو الذي لا يكذب أهله لانه ليس من سقط المتاع وليس من حثالة الناس بل هو في الطليعة دائما ويتحدث التجاني عن الأدب في قوله :

أدب ملؤه الحياة وشعر
مفعم بالسمو فى أوضاعه

فالأدب عنده مرآة للحياة الخيرة والشعر عنده عال متسام هذا هو مايجب أن يكون عليه الأدب والأديب أما واقع الحال فغير ذلك مما يصوره التجانى بقوله :-

يا أديبا مضيعا فى بنى الدنيا
بحسب الأديب محض انتجاعه

ويبلغ التجانى الذروة فى تبيان حال نفسه فى الواقع حين يقول :-

يامظلم الروح كم تشقى على حرق
مما يكابد منك القلب والروح

ويقول أيضا فى هذه القصيدة مكملا تصوير واقعة الأليم :-

مضى بك العقل لم تسعد به أثر
واعتادك الشك إذ ضاقت بك السوح
وظلت فى الارض مأخوذا فلا ظفرت
بك الديار ولا استولى به اللوح
معلقا فى يد الأيام مطرحا
فى هامش الغيب لا عيسى ولا نوح

هكذا يصور التجانى الواقع المر و يصور مايقابل هذا الواقع المر من حياة مُفْعَمة بالسمو يسود فيها الشاعرعلى غيره ولكن هيهات هيهات لهذا الشاعر الابتداعى أن يتحقق مايصبو اليه - ومن ثم فهو يجنح إلى الروح أو النفس يعيش فى عالمها ويصرح بذلك في قوله :-

ولى فى كنوز الروح سلوى ورغبة

بحسبى لا خلف لديها ولا مطل

وفى قصيدة للشاعر التجانى تتجلى فيها الابتداعية نجده يتحدث إلى أستاذ حسين منصور الملقب (بهزار الربا) يبثه آلامه وأشجانه حين لم يوفق فى اللحاق به الى أرض الكنانة - نجد شاعرنا يقول :-

وداعا هزارَ الربا والأكم

أريش الجناح وسيق القدم

تُطوِّف بالقلبِ شتى المنى

زع هذا يطول وهذا اقتحم

وذكرى تجئ وأخرى تمر

ولَيلٌ تقضَّى وفجر ألم

أسترجع أنا بعد الشبا

ب سنيَّ الصِّبا وادّكار الذمم

أفضت من الحجر فيمن أفا

ض وزايلت مهدى فيمن برم

ويواصل الشاعر غناءه الحزين فى قصيدته التى سماها " ملا حن فيها الهوى والألم "

ولما اعتزمت لمصر الذهـا

ب وآن لرأيك أن ينحزم

جنحت الى مزهرى فانتزعـ

ـت ملا حن فيها الهوى والألم

شددت بكفيك أوتارها

وأودعت فيها شجى النغم

وحب التجانى لمصر حب نابع من وجدانه الزاخر بالاحاسيس الفياضه والمشاعر الجياشه - وهو فى حبه هذا رقيق مغل به الرقه الى حد الشفافيه التى رأت التكامل بين شطرى سنه الوادى حقيقة واقعة :-

إنما مصر والشقيق الأخ السودان

كانا لخافق النيل صدرا

حفظا مجده القديم وشادا

منه صيتا ورفعا منه ذكرى

وهو قد بين أن مصر لم تبخل على نفسها المثلة فـــى السودان بشىء لأنهما بلد واحد :-

مصر راشت وشققت وأعدت
منه شمسا وأطلعت منه بدرا

وقد لقبه بعض الباحثين بزعيم الشعر الابتداعى السودانى حينما قال عنه :-

"جاء شعر التجانى مطبوعا سطابعه متصلا بينابيع الالهام الصادقه فى نفسه مما يدل على الملكة الشعريه الأصيله التى كان يتحلى بها هذا الشاعر والتى جعلت الشعر يقفز على يديه الـــى التناسق الموضوعى والوحدة الشعريه والمعنى المحسم والتعبير الرقيق الموحى والبساطه العميقه فأعتبر بذلك زعيم الشعر لرومانتيكى السودانى وظهر له أتباع ومريدون أندفعوا علـــى وقع نغماته ". (١)

وقد وجدنا الابتداعية تسيطر على شعر التجانى فهو كثيرا مايخلو إلى نفسه ويسيطر عليه جو شاعرى موسيقى تشيع فيه

---

(١) الشعر والشعراء فى السودان احمد أبو سعد ص ٧٠ ، ٧١

الذكرى وتداعب نفسه أطياف الماضى وتلاحقه طفولته فله قصائد كثيرة منها هذه الذكريات وتلك الأطياف ولعل قصيدته عن الخلوة التى كان يحفظ فيها القرآن الكريم وهى سمية للكتّاب فى مصر - ففى هذه القصيدة "تصوير رائع استقصائى لكل جوانب شخصية الطفل عنده فهو يصف نفسه حينما أخذ من لعبه اللذيذ فى الصباح الباكر ولا زال يفرك بيده عينيه ثم حين يكتب على اللوح بالمداد نجد أن رأسه قد ضُمِّخَتْ به وذلك لأن الطفل يمسح شعره بقلمه الذى علق به المداد ويمتلىء ثوبه بالبقع المدادية - ثم نجد التجانى يصف الفقيه أو الشيخ وهو " الفكى " الذى يلقنه القرآن الكريم بصفات واقعية يتمثل فى وصفه بالشدة والعنف بل يصفه بأنه " جبار " وهو حين وصف الشيخ بأنه جبار فقد تقمص تماما شخصية الطفل يعبر عن نفسه حين يقول :-

هبّ من نفسه يدفدغ عينيه

مشيحا بوجهه فى الصباح

ساخطا يلعن السماء وما فى

الأرض من عالم ومن أشباح

حنقت نفسه وضاقت به الـ

حياة واهت بيض السرواح

ومشى بارما يدفع رجليه

ويبكى بقلبه الطتاح

نفخت ثوبه الدواة وروت

رأسه من عبيرها الفياح

ثورة صورت خوافى مابيـ

ـن خفايا صبينا من رياح

ورمى نظرة الى شيخة الجبار

مستبطنا خفى المناحى

واستخدم الشاعر هنا كلمات لها ظلال تضيء المعانى التى توحى بها صورة الخلوة فى ذاكرة الشاعر حين كان طفلا إلا أن الشاعر بالرغم مما عاناه فى هذه الخلوة نجده يمدحها بقوله

حبذا خلوة الصبى ومرحى

بالصبا الغض من ليال وضاح

وقد وجدنا أيضا تأييدا للرأى السابق فى كون التجانى رائدا للرومانسية عند بعض أخر من الباحثين حين قال "رأينا بداية الانطلاق الرومانسى فى التجانى يوسف بشير" (١)

(١) محاضرات فى الاتجاهات الشعرية فى السودان ص ٨٨ د. محمد النويهى

وقد رأينا ألا نخلط بين مذهب الرومانسية الذى جنح اليه التجانى فى شعره وبين مذاهب أخرى كالواقعية الطبيعية والواقعة الاشتراكية والرمزية (٢) - وإن كان شعره لا يخلو أبدا من واقعية - وشعره أيضا لا يخلو من محافظة على القديم إلا أن الرومانتيكية هى الغالبة وهى المسيطرة مما جعلنا نتحدث عنه كممثل للشعراء الرومانتيكيين فى السودان ،

وقد حكى لنا التجانى فى شعره قصة فصله من المعهد العلمى حين كان يناقش بعض زملائه فى المفاضلة بين شوقى وحافظ وقد فضل شاعرنا أمير الشعراء أحمد شوقى على حافظ وقال إن شعره يفضل شعر حافظ كما يفضل القرآن غيره من الكلام - فأذاع هذا النفر عنه أنه قال إن شعر شوقى أعظم من القرآن - حاشا لفتى تخرج من الخلوة ودرس القرآن ورتله وافية أن يصدر عنه هذا الكلام الذى صدر عن قلوب حاسدة وصدور مبغضة يقول التجانى :-

قالوا وأرجفت النفوس وأرجفت
هلعا وهاج وماج قسورغابه

---

(٢) اقرأ عن الواقعية فى كتاب " الواقعيه واتجاهاتها فى الشعر العربى المعاصر د. رشيدة مهران الطبعة الاولى ١٩٧٩ الهيئة المصرية للكتاب بالاسكندريه

كفر ابن يوسف من شقي واعتدى

وبغى ولست بعابىء أو آبه

قالوا احرقوه بل اصلبوه بل

انسفوا للريح ناجس عظمه وإهابه

ولو أن فوق الموت من متلمس

للمرء مدّ إلىّ من أسبابه

وإن تصوير التجاني لهذه الواقعة مما يدل على فرط حساسيته ومدى طواعية الكلمات المعبرة له ولو أن لوحة قام الرسام برسمها لهذه المداولات وتلك الافتراءات لما استطاع أن يجسم ماحدث هذا التجسيم البارز وخاصة فى البيتين الأخيرين اللذين بين فيهما مدى كراهية الحاقدين عليه وأنهم يتمنون له ماهو أشد من الموت .

وقد قدّم شاعرنا لديوانه اشراقة تقدمة لو أن أحد الشعراء الآخرين كتبها له ناقدا ومصورا لما أمكنه أن يدانيه إذ حشد التجانى فيها الكلمات الشعرية والمعانى المشرقه والألفاظ المنتقاة الجميلة - قال التجانى :-

قطرات من الندى رقراقه

يصفق البشر دونها والطلاقه

ضيّقتها من بهجة الورد أفوا
ف ومن زهر القرنفل بساقه
نشرت عقدها أصابع من شو
ق ترسّلن خفة وأناقه
قطرات من الصبا والشباب الـ
غضّ منسابةٌ به منساقه
ورهام من روحي الهائم الولـ
هان أمكنت في الزمان وثاقه
ظل يهفو الى السماء ويشكو
لوعة الروح ماهنا واحتراقه
يتحدرن من معابد أيتا
ـم حنينا أسميته اشراقه
قطرات من التأمل حيرى
مطرقات على الدجى مبراقه
يترسلن في جوانب آفا
ق شعاعا أسميته اشراقه

في هذه [illegible] التي اقتطفنا منها الأبيات المسطورة وجدنا الشاعر يعلن عن نفسه فهو قد اختار المذهب الابتداعي في شعره - فهذا الشعر يشبه عنده قطرات الندى والورد

والعقد النضيد الذى نظمته أصابع من نور ويشبه كذلك هذه المدامع الرقراقة ورهام (عرق) الروح ورقة الحنين وشفافية التأمل ولمعان البرق ونفاذ الشعاع وهل مضمون شعر هؤلاء الرومانتيكيين إلا هذه المشبهات التى يأتى بها الشاعر وهل يصوغ الابتداعيون شعرهم إلا بهذه الألفاظ والحقيقة إن شاعرنا التجانى لم يرق له من ألوان الفن إلا الشعر الذى صب فيه روحه فعانقت الروح الشعر عنده وعانق الشعر روحه وقد علقت ذكريات الطفولة بوجدان شاعرنا حتى تمرغه فى الطين وانشاء دمى من لزوجته بمياه الأمطار قد عبّر شاعرنا التجانى يوسف عن هذا كله فى قوله :

يفرح الطين فى يدىّ فألهو
جاهدا أهدم الحياة وأبنى
كم أشيد الحصا قصورا وكم
أكبر من شأنها وأقدر شانى
وطنى فى الصبا الدمى والتماثيل
ونفسى ومن أحب وخدنى

وغريب أن الطين يفرح بين يدى التجانى - ولكنها قدرة يتملكها

شاعرنا ليعيش طفولته التى لا مبالغة فيها إذا نطق الجماد يوشوشا فى أذنيه .

أما القصيدة التى تجلى فيها حب التجانى للطبيعة فهى قصيدته " فى محراب النيل" - وكأن الشاعر فى هذه القصيدة يطبق تماما كلمة الشاعر المصرى عبد الرحمن شكرى " ياطائر الفردوس إن الشعر وجدان" (١) حين صاغ شاعره هذه الصياغة الشفافة والتى رأينا فيها التجريد من خلال الألفاظ والألفاظ من خلال التجريد فلا تدرى الفرق بين المظهر والجوهر تقرأ له هذه القصيدة التى يقول فيها عن النيل انه " سليل الفراديس" - فكلمة سليل هنا مختارة منتقاة فهى تشع معنى من معانى الأحفاد والأسباط وتشع معنى السلسبيل . فكأن النيل من أنهار الجنة على الأرض ومياهه كعين السلسبيل - ثم إن تكرار حرف السين الذى يحدث صفيرا كالذى تحدثه الأمواج حين تتدافع يبين الترابط الكامل بين موسيقى الحروف ودلالات الكلمات المكونة من هذه الحروف يستهل الشاعر قصيدته بهذا الاستدلال المعجب :-

أنت يانيل ياسليل الفراديـ

س نبيل موفق فى مسابك

---

(١) سطر الشاعر عبد الرحمن شكرى هذه الكلمة على أول ديوان شعر صدر له سنة ١٩٠٩ تحت عنوان " ضوء الفجر" -

وشاعرنا فى الأبيات التالية يظل صائغا لهذه المعانى السماوية فى ألفاظ براقه ترسل أضواءها الخافته ذات الدلالات على الحنين والرقة حين شبه الخضرة فى الوادى بأجنحة الملائكة الخضراء فكأنه الملائك أتت من الجنة مع النيل فقد كانت تحتضنه فى الجنة وكذلك هى على أرضنا هذه صاغت من الخضرة على جوانبه أجنحة لها - خيال مجنح بديع وليد وجدان صادق محب مفرط فى الوله والغرام وكيف لا يعشق شاعرنا هذا النيل القادم من عالم الفراديس تحفه الملائكة ويتحدر ماؤه على الأرض من قديم الزمان؟ ويروى النيل أحداث التاريخ التى مرت عليه ويعى هذه الأحداث بذاكرة شاب قوى كالحصان وحق للنيل وهو بهذه القوة والعظمة أن يكون منطلقا للافكار ومجتلى للعظمة - يقول الشاعر :-

حضنتك الأملاكُ فى جنة الخلـ

ـد ورفت على وضوء عبابك

وأمدَّتْ عليه أجنحة خُضْـ

ـرا وأضفت ثيابها فى رحابك

فتحدرت فى الزمان وأفرغـ

ـت على الشرق جنة من رضابك

بين أحضانك العراض وفى كفيك

تاريخه وتحت ثيابك

نخرتك القرون تشمرعـــن ســـا

قِ بعيد الخطى قوى السنابك

يتوثبن فى الضفاف خفافـــا

ثم يركضن فى ممر شعابـــك

عجب أنت صاعدا فى مراقيـــ

ـــك لعمرى أو هابطا فى انصبابك

مجتلى قوة وســـرح أفكا

ر ومجلى عجيبة كــــل مـــا بـــك

فإن كل خير يكسو أبناء الوادى فهو من النيل فكأن روح الانسان فى هذا الوادى السعيد تستمد وجودها وخيراتها من ميـــاه النيل - ومن هنا فإن شاعرنا التجانى يشعر بالعزة والفخار وهـــو ينتسب إلى النيل وكذلك فإن تقديس النيل ليس إلا ثمنـــا زهيدا يقدم اليه وحين افتداه الاجداد بأرواحهم فإن هـــذا يتكافأ مع مايقدمه النيل من خصب ونماء وحياة . يقول شاعرنـــا التجانـــى :-

عفّروا نضرة الجبـــاه بهـــرا

قِ سنىّ من لؤلؤى ترابـك

سجّدا ذاهلين لا روعـــة التـــا

ج ولا زهو إمرة خلف بابـــك

واستغاثوا يانيل منك لنعمـــا

ءِ شجى من آلِهـىٌ ربابك

ويستمر شاعرنا التجانى فى غنائه العذب حتى يصل إلى قوله :

أيها النيل فى القلوب سلام الـ

خلد وقف على نضير شبابـك

إن نسبنا اليك فى عـزة الـوا

شق راضين وفرة عن نصابـك

أو عبدنا فيك الجلال فلمـا

نغض حق الزياد عن محرابـك

أو نعِمْنا بك الزمان فلـم نُبْـ

ـلِ بـلاء الجدود فى صون غابك

ولو قارنا بين قصيدة التجانى وقصيدة أحمد شوقى فى النيـــل لوجدنا قصيدة أحمد شوقى يتجلى فيها البديع المركب فلـــه الصياغه الفخمة والالفاظ ذات الضجيج والمعانى التى لا يقـــع عليهـا إلا أمراء البيان حتى المعانى المشتركة نجد أحمد شوقى يرفعهـا إلى مقام السيادة والرفعه والصولجان والسلطان ـ أنظــر الى احمد شوقى وهو يطرق معنى تقديس النيل حيث يقول :

دين الأوائل فيك دين مـــروءة

لم لا يؤلَّه من يقوت ويرزق

لو أن مخلوقا يؤله لم تكن

لسواك مرتبة الألوهة تخلق

جعلوا الهوى لك والوقار عبادة

إن العبادة خشية وتعلق

وقد طرق التجانى معنى تقديس النيل الذى طرقه شوقى ولكننا وجدنا البساطة هى الرواء فلا فخفخة ولا زينة أنظر الى التجانى يقول :

أو عبتها فيك الجلال فلما

نقض حق الذياد عن محرابك

ولكن "كامل الباقر" وهو شاعر سودانى معاصر يأخذ العبادة من الوجهة الشرعية فهو يحرمها حين يتحدث عن النيل المقدس فى قوله :-

وقديما ضل الألى عبدوا قد

سك حتى جاءوا بأعظم وزر

أسرفوا حيث قدسوك الهـا

ثم أولوك كل حمد وشكر

وأتوا فى سبيل مرضاتك الاثـ

ـم وقالوا زلفى وفاء وبر (٢)

---

(١) تكون خليقة - تكون جديرة

(٢) هذا الشعر مأخوذ من "ديوان النيل" - قصائد مختارة من الشعر المصرى والسودانى -

ونحن لم نجد في الديوان كل شعره فقد جمع التجاني شعره قبل أن يموت واستبعد منه الشعر التقليدي (١) - ولو قدر لشعر التجاني الذي استبعده أن يسطر - لعلنا كنا قد رأينا في هذا التقليد نوعا من التجديد لم نره عند من سبقوه من الشعراء التقليديين .

وقد توفي الشاعر بمرض الصدر سنة ١٩٣٧ بعد حياة قصيرة زمنا إذ لم تمتد أكثر من خمسة وعشرين عاما ولكنها طويلة انتاجا شعريا ثرا وقد كان الشاعر متحررا من قيود المكانية والزمانية في شعره وذلك راجع الى شعوره بروحه هذا الشعور الذي علا به على الآلام والأسقام ومن ثم فهو في شعره لم يتحيز ولم يتقوقع فنجده يعالج موضوعات مجردة من هذه الانحياز وذلك التقوقع تشهد بذلك قصائده التي تحمل أسماء (الله) و(الصوفي المعذب) و(يؤلمني شكي) و(ودعت أمس يقيني) ففي قصيدة (الله) نجد الشاعر يتعالى على المكانية والزمانية وينطلق مع روحه الهائمة الحائرة :

---

(١) ذكر ذلك حسن نجيلة في الدراسة التي نشرها تحت عنوان (التجاني كما عرفته) بمناسبة المهرجان الذي أقيم للشاعر التجاني لمرور خمسة وعشرين عاما على وفاته وقد جمعت هذه الدراسة مع غيرها تحت عنوان "دراسات في شعر التجاني" وطبع بالخرطوم سنة ١٩٦٢ .

برح الشك بالفـؤاد فآمـنْ

ت ولكن في ريبة أو رياء

ثم أيقنت يؤمنا ثم ما أد

ري وكم ذا لديك من لأواء

ويقول التجاني في (الصوفي المعذب)

كل ما في الكون يمشي في حناياه الإله

هذه النملة في رقتها رجع صداه

هو يحيا في حواشيها وتحيا في ثراه

فالمحدود عنده ليس بمحدود - حتى النملة وهي أصغر ما في هذا الكون من مخلوقات متحركة ليست محدودة لأنها رجع صدى الإله .

ولا أقول إن الشاعر يؤمن بوحدة الوجود ولكنه يبين أن هذا الانسان بعنصره الروحي إذا انتصر على الغفلة والحيرة والشك نجا من العذاب وفرّ إلى الله تعالى - هذا الفرار الذي فيه نوع من التسامي المرتبط بواقع الانسان الذي يحيا بالله تعالى - وهذه الحياة بالله نجد الشاعر بها يُفْنَى في حب الله تعالى ولكن لا يمتزج به امتزاج الإذابة كما نرى ذلك في السكر الذي يذوب في الماء .

ومن ثم فإن شاعرنا التجاني حين يصور فإنما يصور التصوير

النابع من النفس لا النابع من مكان محدود مقيس صيغ (١) يتحيز له حواجز، ونحن فى حديثنا عن التجانى فى شعره الابتداعى لا نأتى بالصفات التى يتحلى بها الرومانتيكى أيا كان ونقيس بها شعر التجانى - كلا - ليس هذا نقدا - وإنما النقد أن نرى فى ذاته المعبّر عنها بالشعر صفات منبجسة. هذه الصفات قد غلبت عليها الرومانيتكية فالابتداعية نابعة من ذات الشاعر وليست وليدة تأثره بواردات خارجية فحسب لهذا نجد تأثر التجانى بشاعرين كبيرين أحدهما أبو القاسم الشابى والثانى هو عمر أبو ريشة - ولكن هذا التأثر لم يعط للتجانى صفة لم يكن هو أصلا قد وهب اياها من قبل - ولنضرب لذلك مثلا من القلق الذى كان يعيش فيه شاعرنا ويعبر عنه فى قصيدته

أشك يؤلمنى شكى وأبحث عن
برد اليقين فيغنى فيه مجهودى

فهذه الحيرة إنما هى طبع فيه - وذلك الشك إنما هو فطرة وصبغة وهم لم يستورد هذه الحيرة وذلك الشك من الشاعرين الشابى وعمر أبى ريشية بحال من الاحوال .

---

(١) وضح د . عز الدين اسماعيل معنى كلمة الصورة من ص ٦٣ - ص ٦٧ فى كتابه (التفسير النفسى للأدب) دار المعارف القاهرة سنة ١٩٦٣

وقد عالج شعرَ التجانى كثيرٌ من النقاد - وأخذوه يمنة ويسرة ولكن والحق يقال فإن شعره - وإن أُخذت عليه بعض المآخذ من بعض النقاد - إلا أن آخرين قد هبوا لينتشلوا هذا الشعر المأخوذ (١) من هذه الوهدة - ومن ثم إذا أردنا أن نضيف جديداً إلى ماقاله النقاد فإنى أجد هذا الجديد مثلا فى أن شعر التجانى قد ذاب فى صاحبه حتى أذابه وذاب فيه صاحبه حتى صار التجانى تجسيداً حيًّا وصادقاً للصورة الشعرية المنطلقة عبر الأزمنة والأمكنة بلا حدود وبلا زمان أو مكان .

(١) مثال ذلك ماأخذه د . عبد المجيد عابدين فى كتابه "التجانى شاعر الجمال" ص ٨٨ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ على بيت الشاعر واصفا النيل :

ملء أوفاضك الجلال فمرحى : بالجلال المفيض من أنسابك

حين قال = الأوفاض من أقرب معانيها احتمالا "الجماعة من الناس والأخلاط" ولا يستقيم هذا المعنى مع السياق إلا بتأويل يشبه تأويل النحاة القدامى . وربما يقصد "ملء وفاضك والوفاض المكان يمسك الماء أو الوعاء"

فرد عليه ناقد آخر هو فاروق الطيب البشير فى دراسته عن "التجانى فى نظر النقاد" الموجود بكتاب "دراسات" وقال إن من معانى الأوفاض العجلة والسرعة والعرب تقول لقيته على أوفاض وتعنى لقيته عجلا - وهذا المعنى يفسر البيت بلا تأويل .

المصادر والمراجع

أولا المصادر وهى متمثلة فى شعر كل من الاتيه أسماؤهم :-

١ - ابراهيم التليب
٢ - ابراهيم شريف الدولابى
٣ - أبو القاسم أحمد هاشم
٤ - أحمد شوقى
٥ - اسماعيل عبد القادر
٦ - التجانى يوسف بشير
٧ - الحسين الزهراء
٨ - الناصر قريب الله
٩ - حافظ ابراهيم
١٠ - حسن عبد الحليم اليمانى (ديوانه بخط يده وقد نشرته فى هذا الكتاب)
١١ - حسن عبد الله القرشى
١٢ - عبد الرحمن شكرى
١٣ - عبد الرحمن شوقى
١٤ - عبد الغنى السلاوى

١٥ - عبد الله عبد الرحمن

١٦ - عبد الله محمد عمر البنا

١٧ - مبارك المغربي

١٨ - محمد بن الطاهر المجذوب

١٩ - محمد سعيد العباس

٢٠ - محمد عمر البنا

وأخذت من كتاب (أ) شعراء السودان لسعد ميخائيل

وكتاب (ب) ديوان النيل وهو عبارة عن قصائد

مختارة من الشعر المصرى والسودانى

أصدرته الهيئة المصرية العامه للكتاب سنة ١٩٨٠

ثانيا : المراجع " باللغة العربيه " تبعا للترتيب الألفبائى للمؤلفين والمترجمين :-

١) أحمد أبو سعد - الشعر والشعراء في السودان
٢) د . أحمد عبد الله سامى - الشاعر السودانى محمد سعيد العباسى
٣) الجاحظ - البخلاء
٤) توفيق الحكيم - فن الأدب
٥) د . حسن عون - ترجم - نظرية الأنواع الأدبية
٦) حسن نجيلة - ملامح من المجتمع السودانى
- " ذكرياتى فى البادية "
- " التجانى كما عرفته" وهذا البحث الاخير منشور فى دراسة تحت عنوان " دراسات فى شعر التجانى مع غيره
٧) دريني خشبة ترجم - تشريح المسرحية
٨) د . رشيدة مهران - الواقعيه واتجاهاتها فى الشعر العربى المعاصر
٩) د . زكى مبارك - حافظ ابراهيم (حديث أعدته وجمعته وقدمته كريمة زكى مبارك)

١٠) د . شوقي ضيف - شوقي شاعر العصر الحديث

١١) د . طه حسين - حافظ وشوقي

١٢) د . عبد المجيد عابدين - التجاني شاعر الجمال - تاريخ الثقافة العربية في السودان
- في الشعر السوداني

١٣) عبد الهادي الصديق - أصول الشعر السوداني

١٤) د . عبد الرحمن بدوي ترجم فن الشعر لأرسطو

١٥) د . عبده بدوي - الشعر الحديث في السودان

١٦) د . عز الدين اسماعيل - التفسير النفسي للأدب

١٧) علي احمد باكثير - فن المسرحية

١٨) علي المك - المقدمة التي كتبها لديوان البنا تحت عنوان " الشاعر والديوان "

١٩) عمر الدسوقي - المسرحية

٢٠) د . محمد مصطفى هداره - تيارات الشعر العربي المعاصر السودان

٢١) د . محمد النويهي - محاضرات في الاتجاهات الشعرية في السودان

٢٢) د . محمد رشدي حسن - أثر المقامه في نشأة القصة المصرية - مع الأدب المعاصر في المملكة العربية السعوديه

٢٣) د . محمد زكى العشماوى - دراسات فى أدب المسرح

٢٤) د . محمد على أبوريان ومعه د . على عبد المعطى فى (فلسفة الجمال والابداع الفنى)

٢٥) د . محمد غنيمى هلال الموقف الأدبى - النقد الأدبى الحديث

٢٦) د . محمود حامد شوكت المسرحية فى شعر شوقى .

ثانياً باللغة الإنجليزية :-

27) Goodman, The Structure of Literature.

28) Winsatt, Literary Criticism.

الفهـــــرســـــت

تـم بحمـد اللـــــه تعـــالــــى